

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ عن المند الواحد

الاصوات

يتفق عليها مع الإدارة

المرسلة

بند أسبوعية للفكر والعلم والفن

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المشول

أحمد الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ - عابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٣٣٩٠

العدد ٤٥٥ « القاهرة في يوم الإثنين ٦ ربيع أول سنة ١٣٦١ - الموافق ٢٣ مارس سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الربيع في غير مكانه !

للأستاذ عباس محمود العقاد

الربيع . الربيع . الربيع !

وكردها ما شئت ، فأنت ببائع من تكرارها بمضى ما تراه
من اسم الربيع مرقوقاً بشئ الحروف ، في كل صفحة من
صفحات الكون

كل بستان يقول لك الربيع ، وكل شجرة في بستان تقول
لك الربيع ، وكل طائفة غادية أو رائحة بين الزهر والشجر تقول
لك الربيع ... !

وتقول لك الربيع كل عين لامة ، وكل وجفة متوجعة ،
وكل قلب خائف ، وكل حياة نامية

الربيع في كل مكان

الربيع في مكانه وفي غير مكانه . يارب ربيع في غير مكانه
يلقاك بمعنيين لا يعنى واحد ، كما يروعك الحسن غير مستظر ،
أشد من روعته إياك وأنت في انتظاره ، وعلى عهدك باختباره

في مكانه بين الضفاف والأشجار

وفي غير مكانه أين ؟ أين تلقاه في أوانه ، بعيداً من مكانه ؟
سلى وسل من واعدوه مثل في مختلف اللواعد ، فيا طول
مارأيت حيث لا يرام للناس . ويا طول ما ذكرته حيث لا يذكره

الفهرس

صفحة

٣٤١ الربيع في غير مكانه ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...

٣٤٤ صلوات فكر في محارب الطبيعة : الأستاذ عبد المنعم خلاف ...

٣٤٦ شروق العقل ... : الدكتور زكي مبارك ...

٣٥٠ حاجتنا إلى معهد أتولوجي { الأستاذ محمد جلال عبد الحميد
بجامعة فؤاد الأول ...

٣٥٣ ابن خرداذبة ... : الأستاذ كوركيس عواد

٣٥٦ أستراليا ... : الأستاذ أبو الفتح عطيفة ...

٣٥٩ المصريون المحدثون : شملهم { للتشرق « لإدورد ولين »
وعاداتهم ... : بقلم الأستاذ علي طاهر نور

٣٦٢ حيلة جديدة ... [قصيدة] : الأستاذ أحمد أحمد العجى

٣٦٢ ليتنا ... : الأديب عبد العليم عيسى ..

٣٦٣ في الأدب التركي ... : ... : ... : ... : ...

٣٦٣ إلى الدكتور زكي مبارك ... : الأستاذ أحمد رضوان - علمد

٣٦٣ آثار من أولية الشعر ... : الأستاذ عبد العظيم علي فتاوى

٣٦٤ ما قول الأستاذ لحق حمة ؟ : الأديب كمال الدين نشأت ...

٣٦٥ التزم الضائع . [قصة] : بقلم الأديب حسين محمود البشبيشى

الناس ! وما طرول ما حييته حيث لا يحيه أحد ، ولا يأنس إليه
في المقبرة ، في السجن ، في الصحراء ، في وحشة النفوس
التي تستعير للموت من المقبرة والضيق من السجن والظلم من الصحراء ،
هنالك الريح في خير أوانه ؛ وهنالك الريح في غير مكانه ؛
وهنالك الريح التي لا أحب أن أنساه حين يذكرك الناس كل ربيع !

كانت الشجرة باسقة ناضرة ، وكانت المصافير تملأها قبل
مطلع الشمس وبعد مغيبها ، ثم لا تزال تنبها طوال النهار شادية
صافرة ، لاهية سادرة ، متلاحية زوجين زوجين أو متباشرة ،
ظاهرة بالفرار أو متظاهرة ، ثم متلاحية في الصبيحة الباكرة ،
متلاحية في قيلولة المهاجرة ، متلاحية في الظلمة الساترة

وكانت الشجرة على قبر فتاة

وكان القبر بين مئات القبور

وكنت أراها من حجرة قريبة إلى القبور في كل شيء :
في الجيرة ، وفي المرض التي أقعدني فيها ، وفي الوحشة التي
لا يشع خلالها رجاء

وكنّا في صحراء الإمام

انظر إلى عصافيرها . عصافير المقبرة على رفات الحسناء

انظر إليها لا ترى فرقاً بينها وبين عصافير روضة على ضفاف

نهر في يوم عيد

أتلوها أتمجدها ؟

نعم ، لك أن تلوها كما قلت يومئذ ألومها :

منردة الطير بين الحفر سواء لديك جميع الشجر
أفوق القبور غناء النرا م ، وطيب المقام وصفو السمر ؟
دعها لتساعية في الدجى وفاعقد سوء رهيب الخبر
ولودى بأبيك بين المهرى إلى ظله ويميل النظر
فذاك بصفوك أولى مقام ، وأولى بهذا المقام العبر
ولك أن تمجدها كما قلت يومئذ أحمدها :

منردة الطير أنت الأسد وأنت الأجدء ، وأنت الأبر
عرفت الحياة فحيثما بحيث نعا غصنها وازدهر
ولم تعرف الموت بين القبور رء ، وماذا من الموت تحت الحجر ؟
ولاموت حيث يشوع الشئى ويسرى الندى ، وتنبش الذكر

ففتنى فسا الأرض إلا حياة تمر وأخرى تلى في الأثر
وكنت أقولها يومئذ ولا أزال أقولها الآن وأنا أعجب لنا حين
ننسى على الموت قسمته ، وننسى أن الحياة تواجهه بأقصى من تلك
القسوة ، حينما ظفرت ببقاياها

متى حفلت الحياة بالقبور ؟

متى هزى الموت بالأحياء بغض ما نهزأ بالموت زهرة ضاحكة

تنمو من جوف قبر ، وعصفورة عاشقة على مدفن حسناء ، وتقريده
تسمعها من الروضة في يوم مهرجان كما تسمعها من صحراء الإمام
في جنازة عزيز ؟

تلك قسوة الحياة . وأنتى ما فيها أنها بحق ، وأنها لا تحجل
ولا تدارى ولا تحال في الأمر موضعاً لحجل أو مداراة .

وفي السجن !

والريح في السجن يغرف أوانه ولا يعرف مكانه

يعرف أوانه فلا يخطئه في ورقة على فرع شجرة ، ولا ينسأ
في قشاشة منسية على الأرض يلحها عصفور عابر فيهبط إليها ،
ليتخذ منها أماناً لمهاد غرامه ، في موسم النرلم

أهنا أوان الريح ؟

نعم هذا أوانه ، وهذه أباؤه ، وهذه سبأؤه !!!

أو هذا مكان الريح ؟

لقد كان ذلك بين الأسوار وراء القضبان ، وكل مكان فهو

منزل للريح الطلق غير هذا المكان ، في حراسة سجان !

ولكننا تلقيناه فيه ، وإبتسمنا له ، وعرفناه غير متكرر
ولا متغير ، ومقتحماً علينا المكان أحب اقتحام .

ثم في الصحراء

والصحراء والسجن قبيضان ، ولكنهما في غربة الريح

يلتقيان .

زهرة يفرقها من الزهرة التي بعدها مائة ميل ، وكأنها من
الأنس بنضرتها في جهرة من الرياض والآجام . لا تلتفت إلى
وحشتها لأنها في حجر أمها وبين أيديها ، وهل لها من أم غير
الحياة ومن أحب غير الريح ؟

لكن المقياس غير هذا وأصدق وأكرم من هذا
المقياس بين موت فيه معناه ، وموت آخر فيه معناه ؛ وقد
يتقابل العنيان في كفتي ميزان ، إذا تجاوزت من مات وما مات
وانتهيت إلى ما في الموت من سر واعتبار

في مستهل الربيع ماتت عصفورة الكنار التي قتلت إلينا قبلاً
من الربيع في زمهرير الشتاء
ماتت وهي في أول أمومة لها تستقبل ربيعها الثاني بخمسة
من الأفراخ الضعاف

وماتت شهيدة هؤلاء الضعاف الظالمين ، لأنها جاعت لتطعمهم
والحب عندها كثير ، ونسيت أن تأكل لنفسها لتذكر تلك
الأفواه المفتوحة كأنها فتحت لتأكل كل شيء ... وماتت لأنها
تعطى الحياة ولا تأخذ منها بعض ما تعطيه

ماتت شهيدة القداء ، وماتت ووراءها تدير حكيم أحكمت
النهاية في مئات الألوف من السنين

وعند ما تموت عصفورة فيترجم لنا موتها ذلك التدبير ، ويقدر
لنا ذلك التدبير ، لا عجب أن يقرن موتها بموت الجحافل وأبناء
المخالف ، وهو في قوانين الوجود كفاء ذلك القانون

لا عجب أن نحسب على ربيع العام هذه الشهيدة وأولئك
الشهداء ، فكلهم في سر الخليفة سواء

فياس محمد النقاد

ولبكتنا نحن الذين نراها بأعيننا فتخلق لها الوحشة من
نفوسنا ، ونفارق بين مكانها وأوانها ، ولا ضير عليها ولا عليها
من افتراق

يذكرنا ربيع المقبرة وريبع السجن وريبع الصحراء أن ربيع
العام كله في غير مكانه وإن جاء في إمانه
ربيع يقال له موسم الحياة والرجاء وأبناء الموت فيه أشيع
الأنباء !

ربيع يتلاقى فيه محبان هنا ومحبان هناك ، ثم يتلاقى فيه مائة
ألف من الأعداء ومائة ألف من الأعداء ، يتقاذفون الموت في البر
والبحر والفضاء !

ربيع يترقبه طلاب الموت ، ويغزع منه طلاب البقاء !
ربيع أقرب منه إلى مكانه كل ربيع في مقبرة ، وكل ربيع
في سجن ، وكل ربيع في صحراء
هذا ربيع العام !

السلامة كل ما يسأل منه ، وقد كان بعض سؤله النعمة والفرح

وكنت أحسها تغرد ، وأراها تطفر ، وأرئي لها وهي في
قفصها ، وأحبها وهي لا تباليه ، كأنها قتلت الحرية من فضاء الله
إلى صدرها الصغير بين أفراسها المنار

تلك عصفورة الكنار عند صديق من عجب الطير في الأقباص ،
وإن كنت لا أحبها في غير فضاء الله

بل رأيتها تولد ، ورأيتها تزفر ، ورأيتها ترقى يوماً بعد يوم
من الرقاء في طلب الحب ، إلى التفريد في طلب الحب ، إلى التفريد
في التبطة بالبينين

ثم نماها إلى الصديق ذات صباح ، فكان لتعجب تعجب
طال بيننا كما يطول التعجب في هذه الأيام على أبناء الغزوات

فليعجب من هذا من يستبعد الفارق بين التباين ، كما يستبعد
الفارق بين عصفورة واحدة ومائة ألف إنسان

إن كان هذا هو المقياس لفارق جد بعيد ، بل هو فارق
لا يجوز المقياس فيه

صبر هريتا

أغاريد ربيع

ولولته الشاعر الشاب المرحوم فتواه بليل ٠٠٠

صورة جديدة من ثورة الشباب وجرأة النقد ومراحة الوطنية
وصدى الماطقة ... وقد قدمه الأستاذة : خليل مطران وعلى
محمود غنيم . . .
وقام عليه ميشيل قسطندي المهندس ، وطلب من خضرة ومن
إدارة الرسالة والمكتبة الأنكليزية بطارح مواد الدين ومن المكاتب
الشهيرة - وثمة ١٥ لرش

صلوات فكر

في محاريب الطبيعة

للأستاذ عبد المنعم خلاف

[كتب كثير من هذه الخواطر في «الرسبة»
بالوراق المزيز ، فهي مهداة إليه]

وما رأيت أرضاً ينف فيها الشعور بالحياة كالوراق !
فهناك ملاسم مخبوءة في التراب والأعشاب للسر وتفتح القلب
للعياة والحب ...

وهناك تاريخ البشرية الأولى يحرك في نفس الحى الحس بالزمان ...
وهناك سحر هاروت وماروت لا يزال يجدد شباب قلب القارة
المعجوز : آسيا ...

حيث يفيض الماء دم الحياة غزيراً مدراراً ..
وحيث يغور النفط نهر الذهب غزيراً مدراراً ...
فنبئت من بينهما إنسان ذو جذوة يضاء وأخرى حمراء !
في جناح نائية عمرت الحياة بالنكس والفنك في حياة الهدى وحياة
الضلال ...

وهناك ملقى السكيد وحرب الأجناس والأجيال في تلك الأرض
السوداء ، على هامش الصحراء الصفراء ، وبين مضبة إيران وجبال
كردستان تلقى الأنواع من إنسانها وحوانها وحفرياتها ... فيها
من كل جنس شاخص أو طلل . . . هبت على قلبي فيها ريح الشمال
من صحارى القرغيز وسهوب سيبريا ، وريح الجنوب ، من خضم تحمل
مواعينه الطيوب والأفاويه ، والسحر الأسود من القارة السوداء
وجزر الهند ؟ وريح النار من أرض الفرس ؟ وريح الموت من الهند
أرض الاسترقاق وفناء الأجساد وجنون الأرواح بالأسرار ، وانسلاخ
القوى وتجميع الخيال !

إنها طلبة جبارة من ظلمات الطبيعة تطلق أشباحاً ترقص في الأوهام
والظنون ...
فلا يجب إذا وعيت جد هذا كله من أسرار الحياة ما جعل فكرى
دائم الصلاة !

١١ - أبجد (*)

أبدأ أكرر دروس الطفولة فأنهجى أسماء الأحياء حتى
لا أنسى ...

أبدأ أحترم الطبيعة البدائية كما يحترم الأطفال كبار القوم ..
أبدأ أسير إلى الأمام وعيني إلى الوراء ، حتى لا أضيع طريق
المودة إلى أحضان أمى ...

(*) أظفر الأعداد ٣٠٣ ، ٣٠٠ ، ٣٠٩

لى ذهن سحري يزورى لى الأيام الماضية ويحضرها لأعيش
فيها فترات ثم يردّها لى مكانها من التاريخ ...

أسير وفى يدي مهدى القدي ولدت فيه ، حتى أصل إلى اللحنة
الموعد لأراهما معاً يتقابلان ...

أحتفظ دائماً بوجعى أمى وأبى حين رأيتهما لأول مرة بين
الشباب والكهولة من عمرهما ... ولنى أنسى هاتين الصورتين
حتى أرى وجه الموت ... فأقابل بين الثلاثة ؟

ولدت فى غيبوبة ... فهل أموت فى غيبوبة ؟

١٢ - حماية الطفولة

الطفولة هى موضع عناية الله . . . ألا ترونه يضم كل جنين
أو صغير ناشئ بحنان ويشق له بيده طريق الحياة !

فواضع يده الیقطة الرفیقة هى البراعم المتفتحة والمناطق النامية
تلفنها بأتمطة وأربطة ، وترصد حولها حراساً من الأشواك والمرارة
والمواد قاتلة المكروبات والحشرات

إنها تستكثر من البويضات وجراثيم الحياة وتخرجه بالملايين
التي تعجز قوى الإفناء عن إتلافها جميعاً لتسلم الحياة وتدوم الأنواع.
إنها تحب ذلك العالم الجميل البرى الذى لم يقبح ولم يتدنس
ولم تحتله بمدى قوى الشر .

إنهم يدخلون باحسين للنور والطعام والحب يسألون عن كل شىء
الشمس لهم والمرعى والليل ، ولهم السى والعمل والحب
فى منطقة الخديعة من قلوب الأمهات والآباء

محلان وجراثيم وأشباه وأقراخ وبرامٍ وأطفال . أولئك هم
الأصدقاء السائرون معاً فى ركبة من مواكب الحياة ...

١٣ - المواقف

هل رأيت الدنيا تخلو يوماً من أشیائها ؟
أبدأ ترى عصافير متحدة فى الشكل والصوت تطفر على
الأشجار والأغالي ...

وأبدأ ترى هذه الدار مأهولة بالشمس والقمر والنجوم . . .
نجوم السماء ونجوم الأرض ...
الأرض دائماً تفرع بالأقدام ، والصبح دائماً معه صوت
الطير ...

ولكن عدالة الأكوان ومنطق القلوب - أوعية الحياة -
 هما قولان يقاء هذه النفس لهذا الكون ونقلها إلى جبال أكل
 وأسمى وأدوم ، وعالم من القدرة والتسلط أكثر هولاً وفناً
 وأعظم ، وعالم من الانطلاق والتحرر أرحب وأنعم !
 والموت الموعد !

١٤ - نهافت الغابات إلى غابة واحدة

وإني لأهتف حين تهبُّ على قلبي نباتٌ خفية تتبر فيه
 حساسيته بالهوام والخلود والانتهائية ... ثم أرى أمامي كل
 غايات الحياة الأرضية متهاجرة أمام العقل لا تقعُ عشاق الخلود
 والآملين فيه :

هل لي يا سيد الوجود شيء في ملكوتك الجليل الخالد يبقى
 وأحوزه لنفسى بعد فئاني ورحيلي من هنا ؟
 أم أنا ذاهب من كل هذا الجمال ومعاني الآمال ككتبتة
 ذهبت مع الريح ، أو ورقة أحرقت في موقد ، أو حشرة عمياء
 صغيرة سحقته تحت قدم ... ؟

وهل يكون نصيبي من ملكوتك هذا الرحب الواسع الفنى
 بمعاني الحياة مكاناً مبهماً في جوف الظلمات وأطواء المدم وسكون
 الجمود ، حيث لا إحساس بهذه الحياة ولا بما وراءها ... وحيث
 لا أمكنة لأشياء إذ لا أشياء إلا تلك الصور المطموسة التي
 ينقلها الخيال الإنسانى من عالمها هنا إلى هناك ، حين عجز أن
 يتخيل الفراغ والماء ؟ !

إني يا سيدي لا أصدق ، لأن ضميري قطعة من ضمير
 الوجود كله ... !

وكيف أصدق أن ما في عيني من الصور ، وما في سمعي من
 النغم ، وما في قلبي من أحاسيس ، وما في فكري من قضايا
 الكون والفساد وأحلام الكمال ، تنهب هكذا كأن لم تكن !
 لهم أطفال أولئك الذين يقصر خيالهم عن إدراك اللدى
 الحيوى الباقى للإنسان وراء هذه الحياة الدنيا ، كما يقصر خيال الطفولة
 عن إدراك عوالم الرجولة وبلوغ الأشد في دنيا الأجسام ...

فكل غايات الحياة الأرضية متهاجرة قانية أمام العقل ،
 لا عمر لها إلا خطافات زمنية ، ولا وزن لها تجاه الأبد الكبير ...
 والمادفون إليها قانون ، إلا إذا دارت حول بقية ولحمة : هي الله
 والبقاء معه ...

بعد النغم ففوف

أبدأً فيك يا دنيا شباب متوجون بالطيرة السوداء والفرقة
 المشرقة ، والشفاء الباسمة ...

أبدأً يلعب الأطفال في أمكنة اللعب ويتصايحون عراييد
 مهاراً في الملاعب ...
 أزور دائماً أمكنة طفولتي فأجدتها عامرة بالأطفال الذين
 احتلوا مكاني أنا ورفاق صباي ...

أتراني أرى دوام هذا الكون العظيم ... هذا الضياء الفامر
 الفياض ، هذا الليل الراح الجبار ... هذه الرياح العاتية الجارفة
 الرطخة ... هذا الضباب الهدار الرجاج الرجاج ... هذه
 الصحراء الطامسة الفاغرة ... هذه الجبال الراسية الشاخنة ...

هذه السماء الرحبة البسيطة اللدى ... ثم أرى ذاتي إزاء هذه العوالم
 ضئيلاً ضعيفاً فانياً ثم لا أصرخ في وجوها صرخة تدوى بها
 هبوات الرياح ، وتلتفها الجبال ، وتذهب أصدائها في الأعماق
 والأغوار ... صرخة تتمثل فيها كل معاني إحساسى بفئاني وضغني
 وضياغى بينها من غير سند ولا غاصم أعتر به وأطول وأصول ؟ !
 لماذا تبقيين وأنا أذهب ؟ وتجددين وأنا أبلى ؟ وتبصرين
 هذا الجمال الدائم وأنا أعمى وأطمس ؟ وتسمعين أصوات هذه
 الحياة العجيبة وضجتها وأنا أسمع ؟

لماذا تموتين دائماً بلائى الصباح وذهب الضحى ورمائح
 النجوم ، وتتجملين بأصباغ قاتنة من وهج الظهيرة وطغى
 الأصيل وشفق المساء ، وتنطرين بأنفاس الأزهار ... وأنا أجرد
 من حليى وعمراتى وطيرتى ، وتنصّل أصباغى ، وتتفكك
 أعضائى ، وتحبس روحي عن هذا الوجود ... حتى أنتهى إلى أن
 أظفر الكون من عَجْجى جمجمة يسكنها الفراغ والظلام ،
 وتسكن هي في أعماق حفرة ضيقة تضحك لظلامها بفككتين
 مجرودتين مقبوحين حتى تمها يد البلى فتتركها رقائماً سحيقاً بعد
 أن تملّ الظلام وعليها ؟ !

لماذا تمنحين ما أحرّم وأنت عديعة القلوب والعيون ، وأنا
 ذو القلب الرافض دائماً على خلق الأذواح وضيق الرياح ، الجائع
 دائماً إلى الأحاسيس والمعاني الملتنة والباطنة ، وذو العين الرائدة
 الباحثة عن الحركات والألوان وسمات الوجوه وأشكال الأجسام !
 لماذا يا عدالة السموات والأرض ؟ أفى الحق ذلك ؟

كلا ! فليست العدالة هي التي قسمت هذا وقالت به ... وإنما
 هي العقول السطحية اليائسة القاصرة قالت به ...

بين آدم وهواء

شروق العقل للككتور زكي مبارك

أفاق آدم من غفوته عند قدوم حواء ، وكان المنتظر أن يتلقاها بالضم والتقبيل ، ولكنها عاجلته بضربة قاصمة هي تذكره بشجرة التين ، فقام قلبه بمد صفاء ، وعاد فانطوى على نفسه كما يصنع الأرغم في ليالي الشتاء .

— آدم ، مالي أراك شارد اللب ؟

— من القرح بقدمك بمد طول النياب !

— أنظر ، أنظر ، ألا ترى أنني صرت أنضر من أزهار

التفاح ؟

— وأحلى من أثمار التفاح !

— إذا ما هذا المحمود الذي يغالب قواك ؟

— ما أنا بنافل عن واجب الترحيب بهذا الجسم الفينان ، الجسم البديع الذي أضلني وهداني ، ولكنني تذكرت « صلاة الشكر » وهي صلاة لا تتم بلا اعتكاف ، فإن رأيت أن تركيني وحدي لحظة أو لحظتين ...

— انتهاب الجلال هو في ذاته شكران لوأهب الجلال

— أبغض ما تكون المرأة حين تتفلسف ، فتركيني

لسلاقي ، وإلا مزجت الكوثر بدمك التجميع . إنصرفي ولا ترجعي إلا إن سمعت ندائي

« وخافت حواء عواقب هذه القضية فولت هاربة لا تلوى

على شيء وتركت آدم للصلاة ، وهي ترجو أن تكون صلاته

أقصر من الأمل في سيادة العدل »

فإذا وقع بعد انصراف حواء ؟

هل صلى آدم ؟ وكيف تصح له صلاة وقلبه يفور ، وعقله

يثور ؟

أخذ آدم يفكر فيما انتهى إليه أمره وأمر حواء ، فقد كانا

غاية في الطاعة والخضوع ، فما الذي جدّ حتى أصبحتا غاية

في الترد والمصيان ؟

أرجع السبب إلى وسوسة إبليس ؟

ولكن إبليس كان يوسوس منذ أزمان ولم يصل إلى شيء ،

فكيف وصل بعد اليأس ؟

هنا أدرك آدم أن السر يرجع إلى النمو الملحوظ في جسده

وجسد حواء ، وأيقن أن اضطرام الأجسام يصنع ما تعجز عنه

ألوف الأباليس ... وهل تنجح النزوات الخارجية إن لم تصادف

قبولاً من الأهواء الداخلية ؟

وزاد في اقتناع آدم بهذه النظرية ما كان يلاحظ على فصائل

الطير والحیوان ؟ فقد كان يشاهد أنها لينة رفيقة في أول عهدا

بالوجود ، ثم تغلب عليها القسوة والشراسة حين تمير إلى النضج

والاستحصاء !

وإذن ؟ وإذن يكون تطور الفاعلية الجسدية مصدر التطور في

الفاعلية العقلية !

نعم ؟

نعم يكون في كل تطور جديد إبليس جديد

وعلى هذا يكون لحواء في طفولتها عند مقبول

وما ذنب حواء ؟ ما ذنبها وقد استحالت إلى دوافع

ونوازع وأهواء ؟

نظرت مرة إلى نهر الكوثر في لحظة سكون فرأت خيال

وجهها الجليل وقد استدار في هالة من السحر والفتون ، فقدّرت

أن سيكون لها تاريخ ، وعجبت من أن يتمنى آدم عن حبها

الفتان ، كأنها تجهل أن آدم صار العوبة في زمامها المحبوس

وخلاصة ما قرأت في كتاب شيث أن آدم لا يقيم وزناً

لنزغات إبليس ، وإنما يرى أن الجسد هو الأصل ، وأن ألقافه

مكونة من أباليس ، وأن ثمر الشجرة المحرمة قد يزيده قوة إلى

قوة ، وجوحاً إلى جموح

وهل غاب عن آدم أن ثمرات التين سريعة المطب والفساد ؟

لقد تأملها مرة ومرتين ومرات ، ففرق أنها ممرضة لأخطر

الجراثيم ، وأدرك أن سمها قد يؤرث ما في الأجسام من السم

المكنون فتستشري وتهتاج^(١)

وإذا كان آدم محز عن رياضة حواء وهي صحيحة ، فكيف

بروضها وهي مريضة ؟

(١) تحرير هذه الفكرة أن الانحراف في الطباع هو الأصل في

خطرت لآدم هذه الخواطر وهو يبحث عن السر في تمرّد حواء ... لقد كانت طفلةً وديعةً ، فكيف صارت امرأةً خبيثةً ؟ تطوّر الجسد صنع بها ما صنع ، فأمت وهي أخطر من الحية التنفّاض ، ولن يكون إبليس بأكثر من حواء ، بعد أن تبلغ مبلغ النساء

وكان آدم يعرف أنه يحمل الجانب الأخطر من المسئولية ؛ فهو السبب الأصيل في تمرّد حواء ، وبفضل شبابه وصياله ذقت أفاويق الضلال

والتي ينتظر أن تهدأ المرأة وأمام عينها رجل ، شبيهةً بالتي ينتظر أن تهدأ النار وقد أُلْقِيَتْ أ كداس الخلفاء ... لقد كان آدم بطرد حواء ثم تعود إليه لتأس بضره الجميع ، كما ترجع القراشة إلى أقباس القريب

المرأة تدرك ما في الرجل من اللعاق ، ولو كان من الحاملين ، فكيف تصدّ عنه وهو من الأنبياء ؟

كانت حواء سمحت أن الله لم يخلق آدم إلا بعد أن دار بينه وبين الملائكة حوار طريف ، فكيف يفوتها أن تنفع بشهرته ، وهي تعرف أن الشهرة منمّ عظيم ، وإن اعتمدت على أضيال وأباطيل ؟

وهل تقوم الشهرة بلا أصل ؟ إن آدم رجل ، والرجولة من أعظم الأرزاق ، فا زهدا فيه وهو من أمثلة العزة والجبروت ؟ وهل تنسى أنه سرعها فوق شط الكور أولف للرات ؟

القوة هي سحر آدم ، والضعف هو سر حواء ، والوجود يقوم على أسس كثيرة ولكنها ترجع إلى أساسين هما القوة والضعف ؛ والمشرق المارم لا يقع إلا بين عاشقين مختلفين في المرض والطول ، والمعلمة والجمال ، والقسوة واللين

ومع هذا كان آدم هو البادئ بإعلان شوقه إلى حواء ، وكانت حواء تنكر شوقها إليه . وتفسير ذلك سهل : فأسرع الناس إلى الاعتراف بالحق فيهم الأهواء

ويزعم شيت بن عربانوس أن آدم قال وهو يحاور تلك المعبود : أما والله لو تجددين وجدى لطيرت إلى خالعة المنار^(١)

(١) كذلك ورد هذا البيت في كتاب شيت ، ورواية الأغاني تخالف عنه الرواية في الكلمة الأولى من السطر الثاني

وقد قالت آدم أن حواء ضعيفة ، والضعف يتسلح بالرياء والقول النصل أن آدم قد انتهى إلى حقيقة لا تحتاج إلى برهان ، وهي صدور الأهواء عن الأجساد قبل صدورهما عن الأرواح ، لأن الجسد أداة الروح ، ولأنه يحفظ قواها كما تحفظ الكأس سر الرحيق ثم ماذا ؟ ثم التفت آدم إلى وحى النبوة فقال :

« لم أكن أدرك تكاليف النبوة حين أراد الله أن أكون من الأنبياء ، فقد فهمت أول الأمر أن النبوة لا تصح إلا لمن يقف موقف الراعى من الرعية ، وليس في الجنة جنود وأتباع يحتاجون إلى من ينظر في شؤونهم بعين الدبر الحصيف ... ثم عرفت أن الله جعلني نبياً لحكمة سامية : فحواء شخص مفرد ، ولكنها مؤلّفة من شخصين يدّون بالآلوف ، بفضل ما يصطرع في جسدها وروحها ، وقلبها وعقلها ، من أشات التوازع والأحاسيس ... هي شخص مفرد ، ولكن أوقاتي تضيق عن الطب لأهواء ذلك الشخص المفرد ، فكيف أصنع لو أضيف إليها أفراد يحملون ما تحمل من أوقار الثرق والطيش والجوح ؟ إنها تتعبدني في الحوار ، وأكاد أوقن بأن كل كلمة من كلماتها ترمض إلى شيء ، فهذه الكلمة عتاب ، وتلك الكلمة اتهام ، وهذا اللفظ وعد ، وذلك اللفظ إغراء ، وذلك اللفظ تجريح ... ومن عجيب الأمر في سياسة هذه الشقية أن خطبها لا يهون إلا حين تنطق ، مع أن المفهوم أن نطقها في أغلب أحواله وعيد خفيف ... أخطر ما تكون حواء حين تصمت ، فعند ذلك أدرك أنها تضعر أشياء ، وأنا أخاف أشد الخوف من النذير السموت ... لو أن الله جعلني نبياً في أمة كثيرة العدد خلف الخطب وهان ، قد كنت أستطيع الاعتذار بالجزع عن رعاية الآلوف من الرجال والنساء ، ولكن الله جعلني نبياً على مخلوق تحار في رياضته العقول ... من أي طريق أصل إلى اكتناه قلب حواء ؟ وكيف أودى الواجب في تهذيب تلك الشقية ؟ وهل نجحت في التخلق بأخلاق النبوة وأنا أروض تلك الفرس الشمس ؟ الله يعلم أني لم أقصّر ولم أفترط ، ولكن ما هذا البلاء القى أعانيه ؟ واجب النبي أن يهتدي الجميع في حدود ما يطيق ؛ وقد يتلطف الله به حين يجز عن هداية من يجب ، لأنه يعلم أن الأجباب هي الحقيقة أعداء ؛ وهل يعرف مقاتل الحب غير الحبيب ؟ كان يكفي أن أعجز

عن هداية حواء فأسلمها إلى الشياطين ، ولكن البلاء كل البلاء . أن هذه المرأة لا تكفى بنجاتها من يدي ، وإنما تريد أن تضلني فأكل معها الثمر المتنوع ، وبهذا يصبح الهادي وهو من الصالحين ! إن نجحت حواء في اختالي واختلابي فساكون عبدة لمن يأتي بعدي من الأنبياء ... وهل أضمن حفظ مكاتي في التاريخ ؟ إن تطاول الزمان فسيقول قوم إن آدم شخصية خرافية أريد بها تصوير انهزام الرجال أمام السماء . وهل يؤذيني أن يقال ذلك ؟ أنا أول ضحية بشرية إن هزمتني حواء ، ومن حق من يبحثون بعدي أن يتأبوا في حقيقتي التاريخية . فالرجل الذي يعجز عن كبح المرأة لا يستحق شرف الوجود ... وأنا أعيد من تصل إليهم هذه الأخبار أن يسبوا الظن بجدم الظلم ، فليس عندي أوامر صريحة أتولى بها زجر حواء ، ولست أعرف المصير إن عاقبتها بالقتل ، فما لي صديق غير هذا المخلوق ، والصديق الواحد جدير بالاستبقاء وإن تردى بالعيوب . من أخصب تخير ، وأنا في الصداقة مجذب لا مخصب . فهل ألام إذا استجرت المعصية طاعةً للحبيب لا أجد غيره حين يضيع ؟ سأقرب الشجرة رعاية لحواء ، وليصنع الله بنا ما يشاء ... وماذا يريد الله ! أريد أن نشاركه في السمو المطلق ؟ أريد أن ننزهه كما ننزه عن جميع الشبهات ؟ أين نحن من الله وهو قوة أزلية لا يسترها قص ولا تخود ؟ بأمر الله سأعصى الله فأقرب الشجرة مع حواء . سأعصيه بأمره وإن كان نهائي ، فهو يعلم أن المخلوق المؤلف من أحلام وأهواء لا يعظم عليه العصيان ^(١)

وانخرط آدم في البكاء ، فلم يوقفه غير حواء

— آدم ، آدم ، ماذا بك ؟

— حواء ؟

— نعم ، حواء ، هل فرغت من صلاتك ؟

— أي صلاة ؟

— صلاة الشكر ، ألم تحدثني أنك من أجلها أردت الاحتكاك

(١) هذه الوثيقة التاريخية تصهد بأن آدم ظل مدة طويلة في أسر الفتن والحزن ، ومنها نرى أنه كان في حراك دائم بين عقله وهواه ، وأن حواء لم تفته إلا بعد أن بذل في جهادها فوق ما يطبق

— لقد صليت صلاة لا تخطر لك في بال

— هل صليت كما تصلح الملائكة ؟

— أعظم مما يصلون

— وكيف ؟

— ناقشتُ الله !

— من ناقش الله هلك

— قولي هذا لنفسك ، يا حواء !

— أحب أن أعرف كيف تكون المجادلات من ضروب

الصلوات ؟

— حين تكون شاهداً على شروق العقل

— لا أفهم ما تريد أن تقول

— أريد أن أقول : إن الله يكره لعباده أن يلوذوا بالصمت

والجود

— ومعنى هذا أنه يجب أن تتكلم وتتحرك في كل وقت ؟

— إذا أشار العقل

— وما العقل ؟

— أن تسكني إلى الأبد الأبد !

— أريد أن تتمتع بنعمة الكلام وحدك ؟

— لأنني أشق بنعمة العقل وحدي ، ولأن الله لن يسأل

غير « آدم » عن نزع « حواء »

— وما رأيك في شجرة التين ؟

— المرأة حين تولع بشيء لا تنفك تدور حوله . ولو نهاها

عنه الأنبياء

— وأنت نبي يا « آدم » ؟ لم يبق إلا هذا الزعم الطريف !

— إن صوت الله قرع أذنيك ولم تنتهي ، فهل تسمعين

صوت النبي المسكين ؟ !

— ومتى نهاني الله عن الشجرة ؟

— كيف نسيت يا حواء أننا سمعنا ألف مرة هاتفاً يصيح :

« لا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين »

— هو ندائه موجه إليك

من كيد المرأة إلا المنيين أو المنيين

— أنت يا حواء شقية !

— وأنت يا آدم جهول !

ومرت لحظات صمت فيها آدم صمت الأموات ، ثم تاب إلى

صحوه فأيقن أن نجاته من كيد حواء أمل عزيز النال ... ولكنه

جمع قواه ليصنعا عن التوابع بأسلوب لم يفكر فيه من قبل . فهل

يصل إلى ما يريد ؟

في بارك

« لتحدث شجون »

إعلان

وزارة الزراعة

تقبل المطامات بإدارة المخازن

والمشتريات بالدق . لغاية ظهر يوم ١٥

أبريل سنة ١٩٤٢ . عن توريد كسب

بذرة كتان وكسب سمسم وكسب بذرة

قطن للوقود والعليق وزيت لأقسام

الوزارة . ويمكن الحصول على الشروط

والمواصفات من الإدارة للذكورة يوميا

ما عدا المطامات الرسمية مقابل دفع مبلغ

٣٠ مليا بخلاف ٢٠ مليا أجرة البريد

١١٥٣

— إلى وحدي ؟ وكيف ؟

— لأنك وجل !

— وإذا كان يكون من حق أن أقرب الشجرة وحدي

— لن تذوق ثمرها إلا من يدي

— وهل أدق من يديك غير الملقم والصاب ؟

— إسمع يا آدم ، إسمع : يظهر أنك أغلف القلب ، وأنت

في احتياج إلى من يزيل الفسادة عن عينيك . ما هذا التمرد

على الله ؟ وما هذا العسيان ؟ مزيك أنك رجل ، ورجولة آدم

رهينة بشهادة حواء ، ولن أعترف لك بشيء إلا إن غصيت

وغويت

— ويقول الله : وعصى آدم ربه فغوى ؟

— ومن أنت حتى تصل إلى أن يتالك الله بالنمز والتجريح ؟

— إسكتي ، يا حواء !

— لن أسكت قبل أن أزل قلبك جزاء بما احتكرت من

دعوى الفضيلة والشرف والنبيل ؛ كأن سلوكي معك رذيلة وضمة

وإسفاف ؛ أنت تصور نفسك دائما بصورة المظلوم وتنسى أنك

في أغلب أحوالك من الظالمين

— ومتى ظلمتك ، يا حواء ؟

— حين تناسبت فضلي عليك ، فأنا أضرم أهواءك لتشمر

بستفوان الرجولة الحق ، وستموت حسيئا ومعنويئا يوم أهجر عن

إغوائك . فيومذاك تعرف يا جاهل أن طين حواء ليس

بالنم القليل

— كفي . كفي !

— لا ، لا ، لن أتركك أو تعترف بفضلي عليك

— أرمي الفضل أن تربي للمصية ؟

— ما زيفت لك شيئا غير جميل

— وشجرة التين ؟

— ما تمنى شجرة التين بالذات فسا طول هدايتك إن

امتعت من شجرة الخبز ، لأنك تمل قلبك من مكان إلى مكان ،

ولأطمئن إلى أنك بلافة تيمسك في طليعة التمور ، فإينجو

حاجتنا إلى معهد أنثولوجي

بجامعة فؤاد الأول

للأستاذ محمد جلال عبد الحميد

(بنية ما نشر في العدد الماضي)

٢ - كيف نبني ' في تكوين المعهد الأنثولوجي ؟

قد يبدو غريباً أن نطالب الحكومة بإنشاء مؤسسة علمية جديدة بجامعة فؤاد الأول في هذا الوقت وخصوصاً وقد أصبح من الثمنر استدعاء العلماء الإخصائيين من أوروبا وغيرها ، وأنه أصبح من الصعب أيضاً توفير المال اللازم لتنفيذ مثل هذا المشروع ، ولكننا إذا توسعنا في التفكير والبحث عن أقرب الطرق وأسهلها مع توخي البساطة في التنفيذ ظهر لنا الأمر على عكس ما كنا نتوهم

من حيث هيئة التدريس وتكوين أعضائها فإن من السهل انتداب بعض الأساتذة من كليات جامعة فؤاد الأول وغيرها من المؤسسات العلمية بمصر . ففي كلية العلوم مثلاً يمكن استدعاء أستاذ البيولوجيا والفزيولوجيا لمعالجة هاتين المادتين بالمعهد^(١) ؛ وكذلك يمكن انتداب أستاذ علم التشريح من كلية الطب لمعالجة مسائل الجنس البشري . ومن السهل أيضاً أن يقوم أساتذة علم الاجتماع والتاريخ والجغرافيا واللغات لمعالجة المسائل الاجتماعية وأثر البيئة الجغرافية في تحديد النشاط المادي والروحي للجماعات البشرية المحدودة المدنية ؛ ثم البحث عن معالم مدنياتها وآثار ما قبل التاريخ في الجهات التي تسكنها

فكما نشاهد فيما بعد أن المواد الرئيسية التي يتكون منها علم الأنثولوجيا هي ضمن اختصاص جماعة من العلماء لهم معاملهم وتجاربهم وأوضاعهم بمحورهم المستقلة . ولما كان الفرض

(١) أنظر منهج الدراسة بمعهد الأنثولوجيا ص ٩

الأول^(٢) من معالجة تلك المواد بمعهد الأنثولوجيا هو رسم صورة عامة للتكوين الاجتماعي والأسس المدنية والأوضاع الاقتصادية ، وتحديد المميزات الرئيسية للأجناس البشرية المحدودة المدنية ؛ فليس من الصعب أن نبدأ من الآن فنعمل على إنشاء معهد للبحوث الأنثولوجية وأن تكون هيئة التدريس فيه من الأساتذة المصريين والأجانب الموجودين بمصر الآن

وأما مشكلة التجارب الأنثولوجية وكيفية تهيئة المعامل اللازمة لها ، فليس فيها تعقيد أو صعوبة لا يمكن تحطيمها ، لأنه من السهل استدعاء بعض الأطفال والأولاد من المدارس الإلزامية والابتدائية ، وأما الرجال والنساء ، فيؤتى بهم من بعض وحدات الجيش والمستشفيات والسجون لوصف وأخذ أقيسة مختلفة لأعضائهم وتحليل الدم عندهم لتحديد مجموعاته المختلفة . ويمكن أيضاً إجراء مثل هذه التجارب على الهياكل البشرية التي يمكن الحصول عليها من كلية الطب

ومن ضمن التجارب الأنثولوجية أيضاً القيام ببعض زيارات لتحف الأنثولوجيا والمتاحف الأخرى الموجودة بمصر للوقوف على كيفية ترتيب العروض فيها ، ثم القيام بوصف وتحليل بعض هذه العروض لمعرفة طريقة تكوينها واستخلاص الأسس الفنية والناية التي أنشئت من أجلها

٣ - منهج الدراسة^(٣)

أولاً - الدراسة النظرية

تتناول هذه الدراسة نشأة الإنسان ومميزاته الرئيسية والتأثرات

(١) تلك هي المرحلة الأولى من حياة معهد الأنثولوجيا ؛ وأما المرحلة الثانية وهي التوسع في دراسة أحد فروع الأنثولوجيا أو بعضها لاستخلاص بعض القوانين التي تنبئ بها أوضاع الحياة الاجتماعية لدى تلك الأمم فيترك البحث في أمر تحديدنا الآن حتى تنبأ القرص لتخطي المرحلة الأولى والتي تنهي بتكوين وتهيئة جماعة من الباحثين يطلق عليهم (المصنفين الاجتماعيين) وهم الذين يقومون بجمع المعلومات والوثائق والأشياء بين المجتمعات البشرية المختلفة مع القدرة على ترتيبها وتصنيفها بطريقة علمية منظمة

(٢) يعمل بهذا المنهج الآن بمعهد الأنثولوجيا بجامعة باريس ولكننا رأينا لإدخال بعض تعديلات وزيادات علمية نظراً لتطور علم الأنثولوجيا وتعدد محورها

٢ - اتصال الروحانيات والمعنويات

إذا قلبت أمة على أمة أو طفت مدينة على مدينة أخرى فقد يؤثر ذلك في حجم الأمة المثلوية إما بزيادة عدد أفرادها أو بنقص هذا العدد . والمدينة الغالبة الحق والقدرة على توجيه رأى الجماعة والتعبير عن شعورها وتحديد طرق معيشتها . وعلى هذا فمن الضروري أن تهتم كثيراً بدراسة تأثير المذنبات بعضها في بعض ، ومعرفة النتائج المادية والمعنوية للاستمرار البشرى والاتصال المذنب . ويكمل هذه الدراسة بمحور يقصد منها تحديد مناطق المذنبات وعصورها وأنماطها ومميزاتها الرئيسية .

(ج) النشاط الانساني

١ - علم النفس Psychologie

يقصد من هذه الدراسة الإلمام بمعرفة الظواهر الأولى لنشأة الحياة الفكرية والإحساس والشعور وطرق التعبير عنهما لدى الإنسان ومقارنة تلك الظواهر بما تشابهها لدى الحيوانات الراقية

٢ - علم اللغة Linguistique

ونستعين بهذه الدراسة في معرفة القوانين العامة لاختلاف اللغات واللهجات والإلمام بالطرق العلمية لجمع عناصرها ومعالها بين الجماعات المختلفة

٣ - علم الاجتماع Sociologie

يقصد من هذه الدراسة معرفة الأسس والتعاريف العامة للظواهر الاجتماعية والدينية والاقتصادية

٤ - أسوأجغرافية Ethnographie

وفاية علم الإثنوجرافيا دراسة الطرق المختلفة التي يجب اتباعها في جمع معالم ولم شتات للمذنبات لدى الأمم المحدودة المذنية

٥ - علم آثار ما قبل التاريخ Préhistoire

ينبغي من وراء هذه الدراسة معرفة للميزات الأساسية للإنسان الأول ومعرفة آثاره المادية والروحية والعمل على جمعها وترتيبها حسب موطنها وعصورها المختلفة

الخارجية المحيطة به واتصال ذلك بنظام تطوره العام ، وأبواب هذه الدراسة هي :

(١) نشأة الانسان ومميزاته

١ - باليوتولوجيا Paléontologie

نستعين بهذه الدراسة في معرفة آثار الحياة في المخلوقات البسيطة التركيب وغيرها والتي وجدت في عصور جيولوجية قديمة سبقت عهد ظهور الإنسان مع العمل على تحديد المناطق الطبيعية لتلك الحيوانات وتعيين اتجاه هجرتها في تلك العصور ، ثم تعيين المناطق الأولى التي ظهر فيها الإنسان

٢ - بيولوجيا Biologie ...

وعند الإلمام ببعض مبادئ علم الحياة نستطيع أن نعرف التطورات والتغيرات التي تنشأ داخل جنم الإنسان وتغيره في حياته ، ثم العمل على تحديد العوامل الوراثية وأثرها في انتقال المميزات الرئيسية للجنس البشرى

٣ - فزيولوجيا Physiologie

وقصد من هذه الدراسة الوقوف على كيفية ومدى تأثير البيئة الجغرافية وطرق التغذية ووسائل العمل في اختلاف الأجناس البشرية .

٤ - أنثروبولوجيا Anthropologie

يتناول هنا العلم دراسة الصفات الرئيسية لجسم الإنسان . وتحديد المميزات المختلفة للأجناس البشرية كلها مع الإلمام التام بتاريخ نشأة كل منها .

(ب) مؤثرات خارجية

١ - البيئة الجغرافية والبشرية

بعد معرفة العناصر المختلفة للبيئة الجغرافية من حيث الطقس ودرجة خصوبة الأرض والتغيرات المناخية يمكن تحديد تأثير تلك العوامل الطبيعية في التكوين الاجتماعي والنشاط المادى والروحى للأمم المختلفة .

ثانياً — الدراسة العملية

١ — تجارب أنثروبولوجية

يقوم الطلبة بإجراء تجارب مختلفة ، كوصف جسم الإنسان وأخذ أقيسة لأعضائه ، وأن تجري هذه التجارب على الرجال والنساء والأولاد والأطفال ؛ وذلك في بيئات وطبقات اجتماعية مختلفة . هذا وأن تجري نفس التجارب على الهياكل للبشرية والحيوانية

٢ — تجارب بيولوجية

يتمرن الطلبة على استعمال الآلات الحديثة الخاصة بقياس قوة النظر وسرعة الإحساس ، مع الإلمام بمعرفة الطرق العلمية المستعملة في قياس قوة القفاز

٣ — تجارب انثروغرافية

يقوم الطلبة بعدة زيارات لمتحف الأنثولوجيا والمتاحف الأخرى بالقاهرة وغيرها للوقوف على كيفية ترتيب وضع المروضات فيها ووسائل حفظها والعناية بها . وأن يتدرب الطلبة أيضاً على وصف هذه الأشياء ومقارنتها بنظائرهما

٤ — رحلات

يقوم الطلبة برحلات وزيارات لكثير من القرى للصربية

والسودانية لدراسة نظام تكوين القرية ووصف الحياة فيها وقوم الطلبة أيضاً بزيارة المناطق التي اكتشفت فيها آثار ما قبل التاريخ وقبل أن أنتهى من الحديث عن منهج الدراسة بمعهد البحوث الأنثولوجية أريد أن ألفت النظر إلى أنه يشترط في طالب الالتحاق به أن يكون من خريجي كليات الآداب والحقوق والتجارة والطب وأن تكون مدة الدراسة فيه سنتين هذا وإننا نرى أن متحف الأنثولوجيا يكون جزءاً متمماً للمعهد فيجب أن يبدأ في تكوينه مع المعهد

يظهر لنا مما تقدم أن وادي النيل كثيراً من الجماعات البشرية تختلف عن بعضها من حيث جنسها ونوع تكوينها الاجتماعي ودرجة مدينتها، وأن البحث عن معالم تلك المدينت لم يتسع ميدانه ولم تتنوع أبوابه بعد، فيجب أن نشرع في إنشاء معهد ومتحف الأنثولوجيا لتتابع بذلك تقدماً مطرداً في نهضتنا العلمية الحديثة والتي تبني لها انسجاماً في جميع نواحيها . وإذا نظرنا إلى ماضي نهضتنا على الأخص هذه وجدنا أن في عقننا ديناً نحو العلم الذي أصبح اليوم يزدهق من زفريات أوزيا المحرقة والتي شردت العلماء في فياق الأرض بعد أن تفككت أوامر مجتمعاتهم واقلبت أوضاع معاملهم ، وأن شعورنا بهذا الواجب يحتم علينا أن نهض ونضحى ونهبي للعلم وطننا كما فعل السابقون من أبناء هذا الوادي

محمد محمود غير الحيد

مجموعات الرسائل

تباع مجموعات (الرسالة) مجلدة بالألوان الآتية :
التي الأولى في مجلد واحد ٧٠ قرشاً ،
و ٧٠ قرشاً عن كل ستة من السنوات :
الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة
والثامنة والتاسعة في مجلدين . وقد عدا أجرة
البريد وقدره خمسة قروش في الداخل وعشرة
قروش في السودان وعشرون قرشاً في الخارج
عن كل مجلد .

في قصيدة مفاطيس إلى الزملاء بالاضطرار المصيبة

ترسل تعليمات مجانية من شرح طرق وتدريبات تعلمك كيف تتخلص من
الظوف والورم والحجل والكآبة والوسواس ومن جميع الاضطرابات المصيبة
والعادات الضارة كشراب الدخان ومن الملل والالام الجسدية وفي هوية القفاكرة
والإرادة ودراسة الفنون الفناطيسية لن أراد اجتراف التورم الفناطيسي والحصول
على دبلوم في هذا الفن اكتب إلى الأستاذ أفريد توما ٧١٩ شارع الخليج المصري
بشمرة بمصر وارفق بطلبك ٥ ملياً طوابع للمصاريف فتصلك التعليمات مجاناً .

٢ - ابن خرداذبة

للاستاذ كوركيس عواد

يؤخذ مما ورد في بعض المراجع - أن ابن خرداذبة هذا - كان وزيراً ، فقد ذكر البشارى القسسى^(١) في عرض كلامه على « سد ذى القرنين » ما هذا نصه :-

« قرأتُ في كتاب ابن خرداذبة^(٢) وغيره في قصة هذا السد على نسق واحد ، واللفظ والإسناد لابن خرداذبة ، لأنه كان وزير الخليفة ، وأقدر على ودائع علوم خزنة أمير المؤمنين ... » ويؤسفنا أنه لم يُشر إلى اسم ذلك الخليفة الذى وُزِّرَ له ، والمرجح عندنا أنه كان « المتمد »

وقد بحثنا فيما بين أيدينا من تواريخ الدولة العباسية ، والمصنفات الباحثة في أخبار الوزراء خاصة ؛ فلم نجد بين هاتيك اللواتى من ذكر أن ابن خرداذبة كان وزيراً لخليفة من الخلفاء . والقى نذهب إليه أنه كان وزيراً بالإسم فقط ، وهذا أمر معروف عند متتبي أحوال الإدارة في تلك الأزمنة التى كثرت فيها الوظائف ، واسطنت فيها الألقاب !

ومهما يكن من أمر ، فى البارة التى قلناها عن البشارى ، خير دليل على عظم منزلة ابن خرداذبة عند الخليفة ، وعلى اعتماد ذلك الخليفة عليه فى أمور خزانته الحافلة

وقد ذكر ابن خرداذبة نفسه بنفسه ، فى أوائل كتابه « للسالك والملايك » ، ولجأ إلى مكانه من الخليفة بقوله^(٣) :

« هذا كتاب فيه صفة الأرض ، وبنية الخلق عليها ، وقبلة أهل كل بلد والملايك والسالك إلى نواحي الأرض ، تأليف أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة ، مولى أمير المؤمنين » والظاهر أن « أمير المؤمنين » هذا ، قد كان المتمد أيضاً ، على ما عرفت من صلة وثيقة بينه وبين هذا الخليفة

(١) أحسن التفاسير (ص ٣٦٢)

(٢) نجد الخبر بكلمة فى كتاب للسالك والملايك لابن خرداذبة

(ص ١٦٢ - ١٧٠)

(٣) للسالك والملايك (مرد ٤)

ولعبيد الله ابن خرداذبة أخبار تفرقت فى شعر بعض معاصريه فيها ما يسير إلى أصله « الفارسي » ، وما يشيد بذكر عائلته العريقة فى المجد ، وما يدل على سمو منزلته فى الدولة

روى أبو بكر الصولى فى كلامه على الشاعر أبى الطيب محمد ابن عبد الله بن أحمد بن يوسف أنه قال : « وكتبت إلى ابن خرداذبة ، وقد دام المطر « بُسرَ من رأى » وتأخرت عنه : لعمري لئن سرّ الحيا فى مواطن لقد ساءنى أن عاقنى عن لقاءكا وقد كنت مشغوكاً بذلك أريدك فقال قضاء الله من دون ذلك فصِف لي قد تك النفس أمراً يسرني

وأحمد فيه الله من حسن حالكا وحال أخينا أحسن الله صنعه وحال قالك تمنياً فى كتابكا^(١) » فهذا الشاعر ، على ما يبدو من الأبيات المتقدمة ، قد كان صديقاً حميلاً لابن خرداذبة . ونظيره فى هذه الصداقة كان البحرى الشاعر المشهور المتوفى سنة ٢٨٤ هـ ، قد وقفنا فى ديوان شعره على قطع له فيه . من ذلك ما قاله فى عبدون بن غلدة^(٢) وقد كتب بها إلى ابن خرداذبة^(٣) :

أبلغ لديك عبيد الله مالكة^(٤) وما بدار عبيد الله من بعد أخت بقطربيل^(٥) والديز^(٦) حلتته

وما يجاور بيت النار ذا العمد لم تدر ما بي وما قد كان بعدك من تقاسى لك فى عبدون أو حسدى أغر ، أحسب نعماء الجليظة من

ذخارى لصروف الدهر أو عدى إذا مضى اليوم لا لقاء فيه مضى سرورنا وترقبنا^(٧) بحجى غدر

(١) كتاب الأوراق [قسم أخبار الشعراء] للصولى (ص ٢٤٩)
(٢) جاء ذكره فى حوادث سنة ٢٧٢ من تاريخ الطبرى (السلة الثالثة ، ص ٢١٠٩)

(٣) ديوان البحرى (١ : ٢١٠ طبع الجواب فى الآساسة سنة ١٣٢٠ هـ ، أو ص ٣٢٠ - ٣٢٦ طبع بيروت سنة ١٩٠٠)
(٤) المالكة : الرسالة .

(٥) قطربيل من مواطن الهز والأنس ، بين بسلاد وسامراء ، وهى مشهورة بخرما . ضبطها يلقوت بالقسم ثم السكون ثم فتح الراء وجاء موحدة مشددة مضومة ولام ، وقال إنه روى فى ضبطها : بفتح أهله وطلابه وأما الباء فمشددة مضومة فى الروايتين

(٦) فى طبع بيروت : والشار والوجه ما فى أعلاه

(٧) فى طبع الآساسة : وترقبنا ، وهو مخرف

إن فات في السبت أن زردار^(١) سيدنا

فلا تفتننا لشيء زورة الأحـ

وفي القطعة التالية، يوجه البحترى الكلام إلى ابن خرداذبه بعد أن خلع عليهما عبدون بن مخلد. وفي هذه إشارة صريحة إلى ما كان من صلة بين عبدون وابن خرداذبه. قال البحترى^(٢):

يا أبا القاسم استجدد لنا عبدو نـ حالاً تمامها في ضمانه
جمعنا مودة واجتمعنا بعد في بره وفي إحسانه
قد لبسنا ثيابه وتسايرنا بتقريظه على محلاته^(٣)
وأجزل فائدة من ذلك، ما قاله البحترى في مدح عبيد الله
ابن خرداذبه، وذكر صداقته، وتهنئته بمخروجه من علة كان فيها
ودونك ذلك: (٤)

إن ترج طول عبيد الله لا تحب

أو ترم في غرض من سببه^(٥) نصب
لم تلق مثل مساعيه التي اتصلت
وما قيل^(٦) منها عن أب قأب
رأى صليب على الأيام يتبعه

ظرف متى يمترض في عيشنا يطب
ذاك أخ أفتديه إن يحبس أذى
بالنفس مما توقاه وبالنسب^(٧)
[إذ^(٨) كان^(٩) من فارس في بيت سؤدها
وكنت من طيه^(١٠) في البيت والحسب^(١١)

(١) زردار: نزور

(٢) ديوان البحترى (١: ٢١١ طبع الجواثب، أوس ٢٢٦ طبع بيروت)

(٣) الحلان: ما يحمل عليه من الجواب في الهبة خاصة

(٤) ديوان البحترى (٢: ١٠ - ٢١ الجواثب، ص ٤١٥ - ٤١٦ بيروت)

(٥) السب: الطاء أو اللال. الجمع: سيوب

(٦) يقال: تقبل أباه، بمعنى أشبهه

(٧) النسب: اللال

(٨) الأبيات الثلاثة بين للربيع رواها المصري الفيرواني في زهر الآداب (الطبعة الثانية ٣: ١٨٢ للدكتور زكي مبارك)

(٩) في زهر الآداب: إن كنت

(١٠) في زهر الآداب من عتدي

(١١) في زهر الآداب: والنسب

فلم يضرنا^(١) تنأى النصين وقد

رُحنا نسيبتين في خلق^(٢) وفي أدب
إذا تشاكت الأخلق واقربت^(٣)

دنت مسافة بين العجم والعرب^(٤)
إسلم ولا زلت في ستر من الثوب

وعش حمداً على الأيام والحقب
ولهنك البرء مما كنت تأله

والأجر في عقب ذاك الشكر والوصب
أوحشت، مذغبت قوماً كنت أنسهم

إذا شهدتهم فشهد ولا تقب
إلا تكن ملكاً تُثنى تحيته

فأنك ابن ملوك سادة تُحب
وإن قصدت ابتناء البرء من سقمهم

قد أرفت دماً يشق من الكلب
وغنى عن القول أن ابن خرداذبه، وهو الفارسي الأصل،

كان يعرف اللغة الفارسية، ولا ندرى ما إذا كانت له كتابات
أو تأليف بهذه اللغة. وإنما وجدناه في كتابه المسالك والممالك

يستشهد في موطنين^(٥) بشمر فارسي

أما سنة وفاته، فلست على علم ثابت منها. وقد وجدنا الحاج
خليفة^(٦) يقول إن ابن خرداذبه توفي في حدود سنة ٣٠٠^(٧)

للهجرة، ولعل هذا صحيح، غير أننا لم نقف في كتاب قديم على
ما يدعم هذا القول

وقد قلنا إن ابن خرداذبه نادم المتمد وخض به. ومعروف
أن المتمد ولد سنة ٢٢٩، وببيع له بالخلافة سنة ٢٥٦، وتوفي

سنة ٢٧٩ هـ، فيكون ابن خرداذبه قد بلغ أوج عزه خلال هذه
الفترة المنحصرة بين ٢٥٦ و ٢٧٩ للهجرة.

(١) في زهر الآداب: فلن يضر

(٢) في زهر الآداب: في علم

(٣) في زهر الآداب: إذا تقاربت الآداب والتأمت

(٤) في زهر الآداب: بين العرب والعجم، وهو مخالف للثانية

(٥) المسالك والممالك (ص ٢٦ و ١١٨)

(٦) كشف الظنون (٢: ١٠١ طبعة فلوجل)

(٧) في دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فرد وجندي (٣: ٦٩٣)

أما توفي في حدود سنة ٣٠٠ هـ، وهو خطأ مطبعي ظاهر

منار الدين وخيرة الله من الخلق أجمعين ، وأدام الله لك السعادة ،
وكثر لك الزيادة من جميع الخيرات ، ووفقك لسبيل الصالحات ،
وجعلك ممن ارتضى أفضاله وزين أحواله . فنهت القى سألت ،
أفهمك الله جميع الخيرات وأسمعك إلى المات ، وأطلع في المارين
سهمك ، ووفر فيهما قسمك ، من رسم إيصال مالك الأرض
وعمالكها ، وصفها وبعدها وقربها وعاصرها وغارها ، والمسر
ين ذلك منها من معاوزها وأقامها ورسم طرقها وطسوقها^(١)
على ما رسمه التقسمون منها . فوجدت « بطليوس » قد أبان
الحدود وأوضح الحجج في صفها بلغة أعجمية ، فنقلها عن لنته
بالغة الصحيحة لتقف عليها ، وقد رسمت ، رسم لك فوز الحق
في جميع مأمولك ومطالبك ، مارجوت أن يكون عيطاً بطلوبك
وآتياً على إرادتك كالمشاهد لما نأى والخبر بما قرب ، وصنمته
كتاباً انتجته بالحمد لله ذي العزة النعمة والنعمة السابغة ، القى
أنشأ الخلق على ما أراد ، وبين سبيل الحق للضاد ، لم تشركه في خلقه
الآراء التهمة ولا ظنون الرؤيات ، تعالى الله عما يشركون ،
وصلى الله على محمد نبيه ، وعلى الأخيار من عترته وسلم كثيراً^(٢) .
والمعروف في وقتنا أن لهذا الكتاب ثلاث نسخ خطية ،
اثنان منها في خزنة أكسفر وفيهما خروم

وكان للمستشرق بلريه دي مينار *Barbier de Meynard*
أول من نشر هذا الكتاب ونقله إلى الفرنسية (المجلة الآسيوية
الفرنسية ، السلسلة ٦ ، المجلد ٥ ، سنة ١٨٦٥ ، ص ٢٢٧ وما بعدها
ثم عُني بتجديد طبعه العلامة دي غويه *de goeje* فشره مترجماً
إلى الفرنسية أيضاً (الخزانة الجغرافية العربية ، ج ٦ ، لندن ١٨٨٩
في ١٨٣ صفحة للفرن ، و١٤٤ للترجمة . ولبه في المجلد نفسه نبذة
من « كتاب الخراج وصناعة الكتابة » مقدمة بن جعفر الكاتب
البغدادي ، للتوفى سنة ٣١٠ أو ٣٢٠ هـ ، صفحة ١٨١ - ٢٦٦)
وجديرة بالشاية تلك التحقيقات الثمينة والتعليقات البليغة
والقهارس التقنية التي تحلى بها هذا الكتاب . وقد اشتملت
للقسم التي كتبها الناشر دي غويه بالفرنسية على فوائد جزيلة ،
جاءت في ٢٣ صفحة . وصفوة القول أن هذه الطبعة نفيسة ، فيها

وذكرنا ما كان من صداقة بينه وبين البحري التوفى
سنة ٢٨٤ هـ . إلا أن المراجع التي بأيدينا لا تبيننا على معرفة
ما إذا كان ابن خرداذبة قد توفى قبل البحري أو بعده .

وما قلناه في عبيد الله ، قوله في سائر بني خرداذبة ، فإننا
نجهل سنى وفياتهم ، فضلاً عن أن علنا بسائر أخبارهم وشؤونهم
ما زال مقتضياً يسيراً . وحسبك أن تعلم أن الترجمة الوحيدة
لعبيد الله ابن خرداذبة ، هي التي كتبها ابن التديم في فهرسته ،
وهي أقل من خمسة أسطر !

٥ - مؤلفات ابن خرداذبة

سبقت الإشارة إلى بعض تصانيف ابن خرداذبة ، التي خللت
اسمه على كرم المصور . وهذه المؤلفات قد تزيد على العشرة ،
ذكر ابن التديم^(٣) ثمانية منها ، ضاع أغلبها فيما ضاع من تراث
الأقدمين . وإليك الآن أسماءها وما نعلمه من أمرها :

١ - كتاب أدب السماع .

٢ - كتاب جمهرة أنساب الفرس والنوائل .

٣ - كتاب المسالك والممالك : ضمنه إحصاء جباية المملكة
العباسية في أواسط المائة الثالثة للهجرة^(٤) . وهو من خيرة المراجع
القديمة في معرفة الطرق والممالك ، وتعيين المسافة بالفراسخ
أو بالأميال بين مكان ومكان ، على ما كان معروفاً عند القوم
في ذلك الزمان . ولا مرء ، إن ابن خرداذبة كان الرجل الثقة
في مثل هذه البيانات ، لأنه تولى أعمال البريد . ومن المعلوم أنه
« لا غنى بصاحب هذا الديوان أن يكون معه منه ما لا يحتاج
في الرجوع فيه إلى غيره ، وما إن سأله عنه الخليفة وقت الحاجة
إلى شخوصه وإقادة جيش يهيم أمره ، وغير ذلك مما تدعو
الضرورة إلى علم الطرق بسببه ، ووجد عتيلاً عنده ومضبوطاً
قبيله ، ولم يحتاج إلى تكلف عمله والمثقة عنه^(٥) »

ويمكن لنا واضحاً أن ابن خرداذبة لم يؤلف هذا الكتاب
إلا بطلب من شخص كبير لم يصرح باسمه ولعله أحد الأمراء .
قال في أول كتابه ، وفيه ما يوضح غرضه من هذا السفر ما إليك
نصه بالحرف الواحد^(٦) :

« أطال الله تعالى بقاءك يا ابن السادة الأخيار والأئمة الأبرار

(١) الفهرست (فلوجل ١٤٩ ، ٢١٣ مصر)

(٢) نشر جرجي زيدان ، خلاصة ذلك الإحصاء في تاريخ التمدن

الاسلامي (٥٩ : ٦١)

(٣) كتاب الخراج وصناعة الكتابة مقدمة بن جعفر (ص ١٨٥)

(٤) كتاب للمسالك والممالك (ص ٣)

(١) الطسوق ، واحدها الطسق (بالفتح فالتسكون) ، ما يوضع من
الخراج المقرر على الجريان (جمع الجريب ، وهو على ما في التاج : ١ : ١٧٩
ثلاثة آلاف وستة فراع) ، أو هو شبه ضريبة صلومة ، والكلمة من
الخيل (أنظر تاج المروس : ٦ : ٤٢٣)

أستراليا للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

جوردن بنيت ألقى خطبة في حفلة أقيمت لاستقباله قال فيها :
« عند ما قابل اليابانيين في أستراليا — وأنا واثق من أننا
سنقابلهم — فإني موقن بأن روح القتال في الشعب الأسترالي
ستسود الموقف وتعودنا إلى النصر . فيجب علينا أن نقف بهم
في البحر في كل مكان يحاولون فيه تثبيت أقدامهم . إن محاولة
غزو بلادنا تعد مقاسرة تكتنفها الأخطار ، ولكننا لم نعد نل
من قوة العدو كما أننا لن نل من قوتنا وقوة حلفائنا »

وسنحاول في هذا المقال وصف المناطق الشمالية من أستراليا
التي ستكون أول ميدان للقتال ، ووصف أستراليا وصفاً إجمالياً
ومقدار ثروتها الزراعية والمدنية وقدرتها على الإنتاج الصناعي

هذه القارة

أصغر القارات جميعاً وأكبر جزائر العالم . تبلغ مساحتها ٩
مساحة أوروبا و ١/٢ مساحة أفريقيا و ١/٤ مساحة آسيا ، ويتكون
شمالها من سهول شاطئية منخفضة لا يزيد ارتفاعها على ٦٠٠ قدم .
وتتدرج في الارتفاع نحو الداخل . ويمتاز هذا الإقليم بشدة
حرارته وغزارة أمطاره في فصل الصيف الجنوبي (يناير) ، وبجفافه
وقلة حرارته نسبياً في فصل الشتاء الجنوبي (يونيه) . وفي اعتقادنا
أن ذلك من حسن حظ الأستراليين ، لأن القتال سيدور في جو
ملائم نوعاً لهم بعد أن ولي فصل الصيف الشديد الحرارة وأقبل
الخريف . أما شرق هذه القارة فتوجد به المرتفعات الشرقية ،
وهي تتكون من مرتفعات كوينزلند ، وجبال نيوانجلند ، والجبال
الزرقاء ، وجبال الألب الأسترالية ؛ تلي هذه المرتفعات السهول
الوسطى ، وتتكون من إقليم الآبار الارتوازية العظيم وتبلغ
مساحته نصف مليون ميل مربع تقريباً ، وهو أكبر إقليم من
نوعه في العالم ، ومن حوض المري ودارلنج . وتنصرف مياه
شمال هذا الإقليم في خليج كارينتاريا . أما في الوسط فتتصرف
في بحيرات داخلية أهمها بحيرة إير . وتتنازع أمطار هذا القسم
بقلتها وعدم ضماها ؛ ولذا يطلق عليه « قلب أستراليا الميت »
The dead heart of Australia أما الجنوب فيجري به نهج
المري ودارلنج ويطلق عليه « قلب أستراليا الحي » The live
heart of Australia . وبلي السهول الوسطى المفضبة وأعظم
جهاها ارتفاعاً أجزاؤها الغربية والشرقية

بيت القصيد ، وميدان القتال الجديد ، وما نخال إلا أنها كانت
السبب الأول والعامل المهم في دخول اليابان الحرب الحاضرة ضد
بريطانيا العظمى — بعد أن حرم على أبنائها سكنى أستراليا —
والآن وبعد أن أجهزت اليابان في مدى شهرين أو ثلاثة
على الجزائر التي تربط هذه القارة بآسيا ، فإنها لا شك متقدمة
إليها زاحفة عليها : ولنا ندري ماذا ستكون نتيجة الصراع
القادم بين الأستراليين واليابانيين ؛ فالأستراليون محاربون
بواسل كان لهم القدر المثل والنصيب الأوفر في كسب
بريطانيا للحرب الماضية ، وفي رد العدوان الإيطالي في الحرب
الحالية عن مصر ؛ وسوف يكون نضالهم عنيفاً من غير شك ،
فإنهم لن يسلموا بلادهم دون الاستشهاد في سبيلها ، وهم يدركون
الآن أن الساعة التي تقرض عليهم المقاومة الباسلة آتية لا ريب
فيها . وقد جاء من سيدني بتاريخ ٩ فبراير سنة ١٩٤٢ أن الجنرال

ما يحمل القاري على الاطمئنان إلى سلامتها من الشوايب
وقد نشر دي غويه أيضاً ، قطعة من هذا الكتاب في مجموع
بلداني له ^(١) ، كما نشر بلاشر Blachère قطعاً أخرى منه
في مجموع بلداني له ^(٢)
ومن الدراسات الثمينة التي حظى بها هذا السفر ، ما كتبه
الرحالة المستشرق موزيل Alois Musil في كتابه « الفرات
الأوسط » ^(٣) قد عمد إلى المسافات والإبعاد التي ذكرها ابن
خرداذبه في الطريق من بشار إلى الرقة ، وانتقد ما اعتورها من
أوهام . وجدير بمن يطالع المسالك والممالك أن يرجع إلى ما كتبه
موزيل في هذا الشأن لتتم به القائمة .

كوركيس هراد

(ينبع — بشار)

De Goeje : Selections From Arabic Geographical Literature. (Leiden, 1907; pp. 16 — 22)

Blachère : Extraits des Principaux géographes Arabes (٢) de Moyen Age. (Beyrouth, 1932; pp. 21 — 32)

the middle euphrates. (New York, 1927. pp. 248-251) (٣)

نروتها المعدنية والزراعية

هذه القارة من أغنى القارات بمواردها الزراعية ، فهي تزرع مساحات واسعة من القمح ، وتنتج منه مقادير كبيرة تفيض عن حاجتها وتصدرها إلى الخارج . والحق الاسترالي مشهور معروف . وفي جنوبها تزرع أشجار الفاكهة من : أعناب وبرقال وليمون وتفتح ويصنع بها النبيذ . أما شالحا ، فتزرع به مساحات كبيرة من قصب السكر وتزرع كوينزلاند وحدها ما يزيد على ١٥٠٠٠٠ فدان ، وتصدر الزائد عن حاجتها من السكر إلى بريطانيا العظمى والراعي بأستراليا عظمية القيمة ، فبأستراليا يربي ما يزيد عن المائة مليون رأس من الضأن . وقيمة الصادر من الصوف وحده تزيد على قيمة ما يصدر من محصولاتها جميعاً . وتمتاز كوينزلاند ونيوسوت ويلز بتصدير اللحوم المجففة ومستخرجات الألبان ، حيث تربي بهما الماشية . أما الثروة المعدنية ، فاستراليا غنية بها ، وقد لعب الذهب دوراً هاماً في تاريخها ، فقد كانت قبل اكتشافه منق للجرمين ، ولكن بعد كشفه هرع ألف من المهاجرين إلى أستراليا واستقرت بها ، ونشأت عدة مدن بالقرب من مناجم مثل بلارات وبندنجو وكلجورى وكلجاردى . ومن أهم المادن التي تستخرج : الفحم والفضة والرصاص والزنك والقصدير ؛ وتعادل قيمة المستخرج من الفحم قيمة المستخرج من باق المادن ، وهي تصدر الفحم الزائد عن حاجتها

ونظراً لتوافر للمادن والمواد الأولية قامت عدة صناعات أهمها دبغ الجلود وصناعة الآلات من الحديد والصلب والنسوجات الصوفية وصناعة الأثاث والصابون . والاستراليون يعتمدون على مصنوعات بلادهم ويشجعونها ويؤثرونها على المصنوعات المستوردة وإن غلا عنها

السلطان

هذه القارة رغم ثرائها قليلة السكان ، فإن عددهم لا يزيد على ستة ملايين وثمانمائة ألف . ولعل السبب في ذلك تلك السياسة التي جرت عليها حكومتها من تحريم سكناها على العناصر الملونة وقصرها على العناصر البريطانية أو The White Oustralia Policy فتمت الصينيين والهنود واليابانيين من دخولها وعملت على حفظها ميراثاً لأبناء العناصر البيض وأحقادهم . وقد أفلق بل الاستراليين استيلاء اليابانيين عقب الحرب

للأسيية على جزائر مارشال وكارولين ، إذ اقرب اليابانيون من أستراليا ألفي ميل . وزاد في قلقهم أن جهات أستراليا الشمالية قليلة السكان لعدم ملائمة مناخها لسكنى الأوربيين . ودرءاً لهذا الخطر اتفقت الحكومة البريطانية مع حكومة أستراليا على تشجيع الهجرة البريطانية إليها عام ١٩٢٥ ، وقد خصصت الحكومة البريطانية لهذا المشروع ٧٠٨٣٠٠٠ جنياً

أما أكثر جهات أستراليا ازدحاماً بالسكان ، فهي السواحل الشرقية والجنوبية ، حيث يسكنها ما يزيد على ٨٠٪ من السكان ولكنهم من أنشط العناصر وأبسلها

والآن اقربت الساعة ودنا الخطر الياباني من أستراليا ، وسيوقف الفوز في المعركة القادمة على عاملين مهمين : أولهما المساعدات التي يقدمها الحلفاء ولا سيما الولايات المتحدة ؛ والثاني عزيمته الاستراليين أنفسهم ومقدرتهم على كبل الضربات إلى اليابانيين بصورة أقسى وأشد من الضربات التي يكيها لهم اليابانيون . وهذه هي الروح التي يجب أن يتصمم بها الاستراليون في هذا الصراع وإننا لشمس الفد لمنتظرون

أبر القصر عطفة

مدرس العلوم الاجتماعية
بمدرسة الزقازيق

مجلة الفكرة العربية
والثقافة الإسلامية

صدر اليوم عدد شهر ربيع الأول ومن أهم موضوعاته :

الألم والحرة . الحقائق التي تفتس منها معنى الوحدةانية . الفرعونية ونوايا اتصالها بالصراية . النظريات العلمية في القرآن . عرب ستانفورد . جهاد تركستان في نشر الاسلام . حرب السودان ليست من الطبيعة العربية . نبيذ الصحراء . شعوري في جو الموسيقى العربية والأفريقية . الشجرة الزاهية في الأدب . ممنوع الاختلاط بالثبان . رواج صحف الشهوة . « أيها الزميل العزيز » . بقلم العلم الاثري . أنا - عربي ونحن عرب - لداكتور فاضل الجمالي

المدد القادم خاص عن « محمد » بمناسبة مولده الشريف

الأشتراك السنوي في مصر والسودان والأقطار العربية ٢٠ قرشا وللعلم الاثري والطالب ١٥ قرشا

وللسكائيات بعنوان الأنصار : ٢٤ شارع البستان ، القاهرة

عبد الوهاب ورجاء
في
ممنوع الحب



إخراج محمد كريم

يعرض ابتداء من ٢٣ مارس

بسينما ستوديو مصر

ذهنية ممتدة بسرعة فائقة ودقة مدهشة .

ويخطئ المسيحيون في أوربا في اعتقادهم أن المسلمين أعداء العلم على اختلاف أنواعه تقريباً . والحقيقة أن العلم في الوقت الحاضر تحده حدود ضيقة ، قتل من يدرس الطب والكيمياء والرياضيات وعلم الفلك . وتجبد أغلب الأطباء والجراحين المصريين حلاقين يجهلون العلم القى يباشرونه جهلاً مضراً وتنقصهم المهارة فيما يمارسونه .

ويرجع بعض ذلك إلى تحريم الدين تشريح الجسد . إلا أن بعض المصريين الشبان يتلقون الآن دراسة أوربية في الطب والتشريح والجراحة وعلوم أخرى لخدمة الحكومة . وكثيراً ما يرفض المرضى من المصريين كل مساعدة طبية متوكلين على العناية الإلهية أو متمسكين على السحر . ويدرس في هذا البلد علم تحويل المعادن أكثر من دراسة علم الكيمياء الصرف ، وعلم التنجيم أكثر من علم الفلك . ولا يستعمل في مصر من آلات الفلك غير الاسطرلاب والربع القنطر Quadrant تقريباً ويندر أن نشاهد مرصدة^(١) (تلسكوب) هنا . ولما تستعمل الإبرة المغناطيسية (البوصلة) إلا لمعرفة القبلة . ويصنع لهذا الغرض في دمياط بوصلة صغيرة ملائمة (تسمى قبلية) تبين اتجاه القبلة في المدن الكبيرة للبلاد المختلفة . وأغلب المدن بها مزارع تبين الوقت ظهراً وعصراً في أماكن متعددة وفصول مختلفة . ويجعل هؤلاء الذين يدعون علم الفلك الأصول العلمية الصحيحة ويستعملون القول بدوران الأرض حول الشمس إلحاداً مطلقاً ؛ ويستعملون علم النجوم في حساب التقويم السنوي

عربي لظاهر نوره

« تبين »

(١) هنا ما قرره المجمع القوي . أظهر مجلة مجمع فؤاد الاول للثنية العربية الجزء الرابع . « للترجم »

وقد اشتهر بحق الشيخ محمد شهاب بجودة أدبه ورقة شعره . وكان أنسه وذكاؤه يجنبان الأسقاء إلى منزله كل مساء ، وكنت أحياناً أشارك في مسراتهم . فكان الشيخ يستقبلنا في غرفة صغيرة مريحة ، فيدخن كل منا شيبكة ، وتقدم إلينا القهوة . وكان حديث الشيخ أعذب ما يقدم لنا . وفي القاهرة أيضاً علماء يتمتعون بشهرة عظيمة في اللغة والشعر . ويستحق الشيخ عبد الرحمن الجبرتي - وهو من مؤلفي القاهرة المتأخرين - أن يشار إليه بصفة خاصة ، إذ أنه وضع تاريخاً جليلاً لحوادث مصر منذ القرن الثاني عشر للهجرة^(١) . وقد توفي عام ١٨٢٥ أو ١٨٢٦ عقب قدومي القاهرة لأول مرة . وتنتمي أسرة الشيخ الجبرتي إلى الجبوت في جنوب شرق الحبشة على شاطئ المحيط ، ويدين أهل جبوت بالإسلام ، ولم يروا في الأزهر ، ومثل ذلك في مكة ، وفي المدينة .

لم يعد الشعر الجاهلي يفهم على حقيقته في القرنين أو الثلاثة الأولى للهجرة لغزابة ألفاظه ، فمن باب أولى لا نجد الآن من يستطيع شرح هذه النصوص القديمة . غير أن هناك في مصر من تطلع من علوم الصرف والنحو والبلاغة والأدب بالرغم من سيادة التوحيد والفق في هذا البلد . ولما يعرف علماء مصر تاريخ بلادهم معرفة جيدة ، وأقل من ذلك معرفتهم بتاريخ الأمم الأخرى . أما الذين لا يحترفون الأدب من سواد الشعب فحصولهم الأدبي منحط النوع . ويمجد الكثير من التجار الأغنياء فن القراءة والكتابة ، ولكن قل من يخصص أكثر وقته لدراسة الأدب . ويستهتر من حفظ القرآن جميعه أو أكثره ، واستطاع أن يتلو قصيدتين أو ثلاثاً ، أو يضمن الحديث بعض الأمثال ، رجلاً كامل الثقافة . وهناك تجار في القاهرة أميون فيلجأون إلى أصدقائهم ليكتبوا لهم حساباتهم ورسائلهم . إلا أن هؤلاء التجار لا يهتمون بذلك على العموم ، فيقومون بعمليات حسابية

(١) ورواقى بدء القرن الثاني عشر للهجرة اليوم السادس عشر أو السابع عشر من أكتوبر سنة ١٦٨٨ ميلادية .

حكم في قضية اللجنة الستة رقم ١٧٠٣٩ سنة ١٩٤٠ بتاريخ ٣٠ ديسمبر سنة ١٤٠ ضد محمود قنديل وحمل سكة شارع ترعة الجبل بمشقة الصدر بقرية ٣ جنبه لينة لما يمر أوط من التسمية

أو أقبل يده تحت تأثير الرؤيا ، وإنما قلت : « إن رأس الحسين في مشهده بمصر ، لا شك في ذلك » . قال الشيخ : « وما دليلك على ذلك ؟ وإذا كان مستندك صحيحاً فأرنيه » . فقلت : « ليس هذا في كتاب » . فقال الشيخ : « هل رأيت رؤيا ؟ فرويت له الرؤيا وعرفته أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبرني أن الواقف بالباب هو علي بن أبي طالب ، والواقف على عيمن العرش أبو بكر وعلى يساره عمر بن الخطاب ؛ وأنهم حضروا لزيارة رأس الإمام الحسين » . فوقف الشيخ وأخذ يبدى وقال : « هيا بنا زور المشهد الحسيني » . فلما دخل القبة قال : « السلام عليك يا ابن بنت رسول الله . آمنت أن رأسك الشريف هنا بمد الرؤيا التي رآها هذا الرجل ، لأن رؤية الرسول في المنام حقيقية ؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم : « من رآني في المنام فقد رآني حقاً ، فإن الشيطان لا يتمثل بي » . وحينئذ قال الشيخ : « لقد آمنت أنت وآمنت أنا ولا يمكن أن تكون هذه الأنوار خادعة »

وقد أثار حديث الرسول صلى الله عليه وسلم السابق مناقشات أخرى بت فيها بالطريقة نفسها ، أي بالرؤيا . ولا يجرؤ أحد على مجادلة صاحب الرؤيا إذا كان ذائع الصيت في العلم والورع يفيد ما أشرت إليه في بدء هذا الفصل أن بالقاهرة عدة علماء في وقتنا الحاضر ، وأن بغيرها من المدن المصرية بعض العلماء الآخرين . ويعتبر الشيخ حسن المطار وهو شيخ الأزهر الآن^(١) أحد مشاهير العلماء المعاصرين . وهو وإن يبلغ في التوحيد والفقه مبلغ بعض معاصريه كالشيخ القويسني خاصة ، ضليع في الأدب . وهو مؤلف كتاب « الإنشاء » الذي يعتبر مجموعة فائقة من الرسائل العربية في مختلف الموضوعات ، وضعها نموذجاً للأسلوب الإنشائي . وقد طبع هذا الكتاب في مطبعة بولاق . وقد ذكرت اسم هذا المؤلف تنقيحاً لوعده قطمته على نفسي ، إذ طلب أن أنوه بمعرفتي له وأن أبين رأيي في علمه ظناً أنني سأنتشر في بلدي أحاديث عن أهل القاهرة

ما أعتقد وما زلت أعتقد ، بوجود الرأس الشريف في هذا المشهد . ولكنني ما كنت لأعارض الشيخ لشهرته وسعة علمه . وانتهى الدرس وخرجت أبكي . فلما جن الليل قت أدعو الله وأبتل إليه ولجأت إلى رسوله الكريم (ص) متوسلاً أن أراه في المنام ليخبرني بحقيقة الأمر . فرأيتني أسير إلى المشهد الحسيني . فلما دنوت من القبة أبصرت بها نوراً ساطعاً فدخلت فوجدت أحد الأشراف واقفاً بالباب . فخيتته فرد التحية وقال : « سلم علي رسول الله » . فأرسلت النظر نحو القبة فرأيت الرسول (ص) جالساً على عرش وعلى جانبيه وقف رجلان . فرفقت صوتي قائلاً : « الصلاة والسلام عليك يا رسول الله » . عدة مرات وأنا أبكي . فسمتته (ص) يقول لي : « ادن يا بني ، يا محمد » فأخذ الرجل الأول يبدى وقمى إلى الرسول (ص) . فخيتته فرد التحية وقال : « جزاك الله خيراً على زيارة رأس الحسين يا بني » . فقلت : « يا رسول الله هل رأس الحسين هنا ؟ » فأجاب : « نعم . إنه هنا » فقارقتي الحزن وفرحت وثبتت جناحي وقلت حينئذ : « يا رسول الله سأقص عليك ما أكدته شيخى وأستاذي الأمير في درسه » . وأعادت عليه قول الشيخ . فأطرق (ص) ثم رفع رأسه وقال : « إن النقلة معذورون » . واستيقظت فرحاً سعيداً ولما ينقض الليل بعد . فميل مبرى بطوله وجلت أقرب طلوع النهار لأذهب إلى الشيخ فأقص عليه الرؤيا . فلما طلع الفجر أقت صلاتي وخرجت إلى منزل الشيخ وأخذت أطرق الباب بشدة . فأسرع البواب فرعاً يسأل من الطارق ؟ فلما عرفني فتح الباب ، ولو كنت غيري لضربني . ودخلت الفناء وأخذت أصيح : « سيدى ! يا سيدى ! » فاستيقظ الشيخ صاحماً : « من هذا ؟ فأجبت : « أنا تلميذك محمد البهائي » فتعجب الشيخ لحضوري في هذا الوقت وقال : « يا الله ! ما هذا ؟ ما الخبر ؟ قد ظن أن حادثاً عظيماً نزل بالناس . ثم قال : « انتظر حتى أقيم الصلاة » . فظلت واقفاً حتى نزل الشيخ إلى الترفة السفلى ودعاني إلى الصعود . فصعدت دون أن أحياه

(١) وقد توفي هذا الأديب الفاضل وقت كتابة هذا الكتاب

وقد اشتهر بحق الشيخ محمد شهاب بجودة أدبه ورقة شعره . وكان أنه وذكاؤه يجذبان الأصناف إلى منزله كل مساء ، وكنت أحياناً أشترك في مسراتهم . فكان الشيخ يستقبلنا في غرفة صغيرة مريحة ، فيدخن كل منا شيبكه ، وتقدم إلينا القهوة . وكان حديث الشيخ أعذب ما يقدم لنا . وفي القاهرة أيضاً علماء يتمتعون بشهرة عظيمة في اللغة والشعر . ويستحق الشيخ عبد الرحمن الجبرتي - وهو من مؤلفي القاهرة للتأخرين - أن يشار إليه بصفة خاصة ، إذ أنه وضع تاريخاً جليلاً لحوادث مصر منذ القرن الثاني عشر للهجرة^(١) . وقد توفي عام ١٨٢٥ أو ١٨٢٦ عقب قدومي القاهرة لأول مرة . وتنتمي أسرة الشيخ الجبرتي إلى الجبرت في جنوب شرق الحبشة على شاطئ المحيط ، ويدين أهل جبرت بالإسلام ، ولهم رواق في الأزهر ، ومثل ذلك في مكة ، وفي المدينة .

لم يعد الشعر الجاهلي يفهم على حقيقته في القرنين أو الثلاثة الأولى للهجرة لغرابة ألفاظه ، فن باب أولى لا نجد الآن من يستطيع شرح هذه النصوص القديمة . غير أن هناك في مصر من تضلع من علوم الصرف والنحو والبلاغة والأدب بالرغم من سيادة التوحيد والفقه في هذا البلد . ولما يعرف علماء مصر تاريخ بلدهم معرفة جيدة ، وأقل من ذلك معرفتهم بتاريخ الأمم الأخرى . أما الذين لا يحترفون الأدب من سواد الشعب فحصولهم الأدبي منحنط النوع . ويجيد الكثير من التجار الأغنياء فن القراءة والكتابة ، ولكن قل من يخصص أكثر وقته لدراسة الأدب . ويعتبر من حفظ القرآن جميعه أو أكثره ، واستطاع أن يتلو قصيدتين أو ثلاثاً ، أو يضمن الحديث بعض الأمثال ، رجلاً كامل الثقافة . وهناك تجار في القاهرة أميون فيلجأون إلى أصدقائهم ليكتبوا لهم حساباتهم ورسائلهم . إلا أن هؤلاء التجار لا يهتمون بذلك على العموم ، فيقومون بعمليات حسابية

ذهنية معقدة بسرعة فائقة ودقة مذهلة . ويحظى المسيحيون في أوروبا في اعتقادهم أن المسلمين أعداء العلم على اختلاف أنواعه قديماً . والحقيقة أن العلم في الوقت الحاضر تحده حدود ضيقة ، يقل من يدرس الطب والكيمياء والرياضيات وعلم الفلك . وتجد أغلب الأطباء والجراحين المصريين حلاقين يجهلون العلم الذي يباشرونه جهلاً مضراً وتنقصهم المهارة فيما يمارسونه .

ويرجع بعض ذلك إلى تحريم الدين تشریح الجسد . إلا أن بعض المصريين الشبان يتلقون الآن دراسة أوربية في الطب والتشريح والجراحة وعلوم أخرى لخدمة الحكومة . وكثيراً ما يرفض المرضى من المصريين كل مساعدة طبية متوكلين على العناية الإلهية أو معتمدين على السحر . ويدرس في هذا البلد علم تحويل المعادن أكثر من دراسة علم الكيمياء الصرف ، وعلم التنجيم أكثر من علم الفلك . ولا يستعمل في مصر من آلات الفلك غير الاسطرلاب والربع القنطر Quadrant تقريباً ويندر أن نشاهد مرصدة^(٢) (تلسكوب) هنا . ولما تستعمل الإبرة المغناطيسية (البوصلة) إلا لمعرفة القبلة . ويصنع لهذا الغرض في دمياط بوصلة صغيرة ملائمة (تسمى قبلية) تبين اتجاه القبلة في المدن الكبيرة للبلاد المختلفة . وأغلب المدن بها مزارع تين الوقت ظهراً وعصراً في أما كن متعددة وفصول مختلفة . ويجهل هؤلاء الذين يدعون علم الفلك الأصول العلمية الصحيحة ويعتبرون القول بدوران الأرض حول الشمس إلحاداً مطلقاً ؛ ويستخدمون علم النجوم في حساب التقويم السنوي

علمي طاهر نو

« يبع »

(١) هذا ما قرره المجمع القوي . أنظر مجلة مجمع فؤاد الاول لسنة ١٩٤٠ تاريخ ٢٠ ديسبر سنة ١٤٠٠ ضد محمود قنديل وحل سكتة شارع ترعة الجبل بتمتية المصدر بتاريخ ٢ جنيه ليته لجل بصر أزيد من التسعيرة

حكم في قضية اللجنة للشفقة رقم ١٧٥٣٩ سنة ١٩٤٠ بتاريخ ٢٠ ديسبر سنة ١٤٠٠ ضد محمود قنديل وحل سكتة شارع ترعة الجبل بتمتية المصدر بتاريخ ٢ جنيه ليته لجل بصر أزيد من التسعيرة

(١) ووافق بدء القرن الثاني عشر للهجرة اليوم السادس عشر أو السابع عشر من أكتوبر سنة ١٦٨٨ ميلادية .

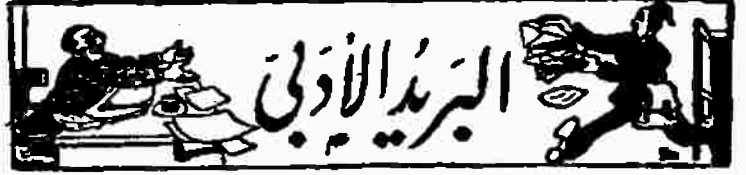
أو أقبل يده تحت تأثير الرؤيا ، وإنما قلت : « إن رأس الحسين في مشهده بمصر ، لا شك في ذلك » . قال الشيخ : « وما دليلك على ذلك ؟ وإذا كان مستندك صحيحاً فأرنيه » . فقلت : « ليس هذا في كتاب » . فقال الشيخ : « هل رأيت رؤيا ؟ فرويت له الرؤيا وعرفته أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبرني أن الواقف بالباب هو علي بن أبي طالب ، والواقف على عتبة العرش أبو بكر وعلى يساره عمر بن الخطاب ؛ وأنهم حضروا لزيارة رأس الإمام الحسين » . فوقف الشيخ وأخذ بيدي وقال : « هيا بنا نزر المشهد الحسيني » . فلما دخل القبة قال : « السلام عليك يا ابن بنت رسول الله . آمنت أن رأسك الشريف هنا بعد الرؤيا التي رآها هذا الرجل ، لأن رؤية الرسول في المنام حقيقية ؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم : من رآني في المنام فقد رآني حقاً ، فإن الشيطان لا يتمثل بي » . وحينئذ قال الشيخ : « لقد آمنت أنت وآمنت أنا ولا يمكن أن تكون هذه الأنوار خادعة »

وقد أثار حديث الرسول صلى الله عليه وسلم السابق مناقشات أخرى بت فيها بالطريقة نفسها ، أي بالرؤيا . ولا يجرؤ أحد على مجادلة صاحب الرؤيا إذا كان ذائع الصيت في العلم والورع يفيد ما أشرت إليه في بدء هذا الفصل أن بالقاهرة عدة علماء في وقتنا الحاضر ، وأن بنيرها من المدن المصرية بعض العلماء الآخرين . ويعتبر الشيخ حسن المطار وهو شيخ الأزهر الآن^(١) أحد مشاهير العلماء المعاصرين . وهو وإن يبلغ في التوحيد والفقه مبلغ بعض معاصريه كالشيخ القويسني خاصة ، ضليع في الأدب . وهو مؤلف كتاب « الإنشاء » الذي يعتبر مجموعة فائقة من الرسائل العربية في مختلف الموضوعات ، وضعها نموذجاً للأسلوب الإنشائي . وقد طبع هذا الكتاب في مطبعة بولاق . وقد ذكرت اسم هذا المؤلف تنفيذاً لوعده قطعه على نفسي ، إذ طلب أن أتوه بمعرفتي له وأن أئين رأيي في علمه ظناً أنني سأنشر في بلدي أحاديث عن أهل القاهرة

ما أعتقد وما زلت أعتقد ، بوجود الرأس الشريف في هذا المشهد . ولكنني ما كنت لأعارض الشيخ لشهرته وسعة علمه . وانتهى الدرس وخرجت أبكي . فلما جن الليل قلت أدعو الله وأتهل إليه ولجأت إلى رسوله الكريم (ص) متوسلاً أن أراه في المنام ليخبرني بحقيقة الأمر . فرأيتني أسير إلى المشهد الحسيني . فلما دنوت من القبة أبصرت بها نوراً ساطعاً فدخلت فوجدت أحد الأشراف واقفاً بالباب . فخيفته فرد التحية وقال : « سلم علي رسول الله » . فأرسلت النظر نحو القبة فرأيت الرسول (ص) جالساً على عرش وعلى جانبيه وقف رجلان . فرفعت صوتي قائلاً : « الصلاة والسلام عليك يا رسول الله » عدة مرات وأنا أبكي . فسمعت (ص) يقول لي : « ادن يا بني ، يا محمد » فأخذ الرجل الأول بيدي وقدمني إلى الرسول (ص) . فخيفته فرد التحية وقال : « جزاك الله خيراً على زيارة رأس الحسين يا بني » . فقلت : « قلت : « يا رسول الله هل رأس الحسين هنا ؟ » فأجاب : « نعم . إنه هنا » فقارفتي الحزن وفرحت ووثبت جناني وقلت حينئذ : « يا رسول الله سأقص عليك ما أكده شيخني وأستاذي الأمير في درسه » . وأعلنت عليه قول الشيخ . فأطرق (ص) ثم رفع رأسه وقال : « إن النقلة معذرون » . واستيقظت فرحاً سعيداً ولما ينقض الليل بمد . فميل صبري بطوله وجعلت أتربط طلوع النهار لأذهب إلى الشيخ فأقص عليه الرؤيا . فلما طلع الفجر أقت صلاتي وخرجت إلى منزل الشيخ وأخذت أطرق الباب بشدة . فأصرح البواب فرعاً يسأل من الطارق ؛ فلما عرفني فتح الباب ، ولو كنت غيرة لضربني . ودخلت الفناء وأخنت أصيح : « سيدي ! يا سيدي ! » فاستيقظ الشيخ صائحاً : « من هنا ؟ » فأجبت : « أنا تلميذك محمد البهائي » فتعجب الشيخ لحضوري في هذا الوقت وقال : « يا الله ! ما هذا ؟ ما الخبز ؟ » فقد ظن أن حادثاً عظيماً نزل بالناس . ثم قال : « انتظر حتى أقيم الصلاة » . فظلت واقفاً حتى نزل الشيخ إلى الترفة السفلى ودعاني إلى الصعود . فصعدت دون أن أحياه

(١) وقد توفي هذا الأدب الفاضل وقت كتابة هذا الكتاب

إلى الدكتور زكي مبارك



في الأوب التري

من أبناء اسطنبول أن الدكتور « طازر » سكرتير حزب الشعب اقترح تأليف هيئة تحكيم تختار من الكتاب والأساتذة الأتراك برئاسة السيد خالد ضياء أرشكيلجيل لاختيار أحسن رواية تركية نشرت خلال العشرين سنة الماضية ، فوقع اختيارهم على رواية « سنيكلي البقال » للسيدة خالدة أديب ، وفازت بالجائزة الثانية رواية « يابان » للكاتبة « كياسماجلو » وفازت بالجائزة الثالثة رواية « فهم بك » للكاتبة السيد حيدر .

وتعد السيدة خالدة أديب من أنبغ من جمعوا الثقافتين السكسونية والتركية ، وقد ولدت في اسطنبول من أسرة تركية عريقة في النسب ، وقضت طفولتها في الأناضول ، ثم تلقت دراستها في الكلية الأمريكية للبنات القائمة على ضفاف البسفور وقامت بعد ذلك بدور هام في الحرب الوطنية التي حدثت في ١٩١٨ - ١٩٢٢ وعملت في الجيش برتبة نقر في فرقة النساء التطوعات ، وقد رقاها النازي أتاتورك نفسه إلى رتبة جوارش في ميدان القتال لما أبدته من شجاعة والإقدام .

وفي سنة ١٩٣٠ رحلت إلى أمريكا حيث ترجمت عدداً من كتبها ودرواياتها إلى الإنكليزية ، فصادفت رواجاً واستحساناً عظيمين . ثم ألقت سلسلة محاضرات في جامعة كولومبيا بنيويورك عن « الآراء الحديثة السائدة في الشرق الأدنى » .

ورجعت إلى تركيا ، ثم عينت قبل أربع سنوات أستاذة للأدب الإنكليزي في جامعة اسطنبول ، ولا يزال تقوم بالتدريس في الجامعة . وهي تعد من أشهر وأحب النساء في تركيا ، وهي خير مثل لزوج الثقافتين السكسونية والتركية . فهي جريئة لا تزدد في قبول التبعات وتحملها مهما بلغت . فأنا رأيتها وأبت سيدة وقورة هادئة غير هياة . وهي خير مثال للأمم الخنونة ودية الفكر الكاملة ؛ ولم ينمها ذلك كله من أن تحمل السلاح ونغوض المارك حينما أهاب بها الداعي إلى الدفاع عن بلادها ، والنضال عن حريتها واستقلالها . وهي وإن كانت كاملة الأنوثة والرقة لم ينمها ذلك كله من أن تكون مقدامة لا تهاب ، وفيها ما فيها من سحر الشرقيات وجاذبيتهن

قرأت مقالاتك الحافلة « تحت السدرة » ، وأهنتك بتصور أحداث الضمير ، هذا التصوير الرائع الطريف ؛ ولكنني أستميحك في أن أقول لك : لقد ظلت في هذا التصوير أبانا « آدم » ، فصورته خاضعاً مستكيناً لبقرية الجلال وأنا أزعج بأن ما حدث من « آدم » من التعرض لمكاره الأكل من « الشجرة » ، لم يكن الموحى به جسد « حواء » وحده ؛ ولكنني أنهم معه ما ركب في رجولة « آدم » من حب المخاطرة والاستطلاع ، والتلذذ باقتحام المكاره والصعاب ! ولا أكاد أسيخ أن « آدم » قد تلقى أمر الله باجتنب « الشجرة » فلم يحده نفسه ، ولم يتحدث هو إلى نفسه في هذا الأمر ، حتى أتت « حواء » فطوته بدلالها وفتنة جمالها دفعة واحدة ، وذهبت به إلى حيث أرادت . وأعتقد أنه لو رزقها الله الصبر ولم تحدث إلى « آدم » لتحدث هو إليها ، ولفعل ما كانت تريد . وليس معنى هذا أن أعني الأثر الذي أحدثته « حواء » ، ولكنني لا أنسب لجمالها كل شيء !

صحيح أن الناحية الأدبية تفقد كثيراً من حرارتها على هذا الوضع ، ولكن هذا خير لنا من أن نعطي « حواء » الجديدة القاتنة مادة جديدة تتناول بها على « آدم » الحديث فما رأيك يا دكتور في أن تلقى على كاهل كل منهما تبعته في الخروج من الجنة لتضطرب الأهواء على هذه الأرض ولتحقق لله حكمة تحار في فهمها العقول والأفهام ؟

آثار من أولية الشعر

للباحث العالم الأستاذ عبد التتال الصميدى آراء في الأدب سديدة ، ونظرات في النقد والتحليل عميقة ، وقد كتب في عدد « الرسالة » رقم ٤٥٤ مقالاً بالفتوان الذي يظل كلتي هذه رأي فيه أن قصيدة عبيد بن الأبرص التي مطلعها :

أقهر من أهله ملحوب فاقططيات فالذنوب

تمثل أقمية الشعر خير تمثيل ؛ إذ لا يستقيم لها وزن ، ولا نغمها قافية ، ومع تقديرى لآراء الأستاذ أخالفه في ذلك الحكم لما يأتي :

١ - عاصر عبيد امرأ القيس المقود له لواء زعامة الشعر ، فاضطراب قصيدة شاعر في عصر بلغ الشعر فيه آية الجودة لا يتخذ دليلاً على سنة التطور والارتقاء ، وإلا لصح لنا أن نتخذ

ما قول الأستاذ لطفى جمعة ؟

قرأت في جريدة « منبر الشرق » الزهراء في عدد ٦ مارس عام ١٩٤٢ مقالة بعنوان : « على العزبي يمر بمواكب الحياة » للأستاذ محمد لطفى جمعة الحامى فوجدتها مأخوذة بالنص في كثير من مواضعها من كتاب « معالم تاريخ المصور الوسطى » المقرر على السنة الثانية الثانوية هذا العام لؤلفيه محمد رفعت بك والأستاذ محمد أحمد حسونة ، يقول الأستاذ لطفى مثلاً : (فكانت روما عاصمة الإمبراطورية ترسل إلى كل جهة من يفرس فيها حضارتها بمجرد استمداد البلاد المفتوحة لقبولها ، فتي تم فتح إقليم بدأ صبغه بالصبغة الرومانية ، وإذا أخذ أهل للسكينة منحوا حقوقاً مدنية تشابه حقوق أهل روما أنفسهم ، حتى أنه على الرغم من الفروق التي كانت تفصل كل ولاية عن الأخرى شاعت بين الجميع مبادئ التهذيب الروماني الخ) مأخوذ بالنص من الفصل الأول صفحة « ١٦ » من هذا الكتاب ، وقوله أيضاً :

(وكان أبناء الأشراف يتضمون من سن السابعة إلى فارس مشهور ينشأون معه ويقومون بخدمته ويتملمون منه ضروب القتال وآداب اللائدة والحديث والاستقبال ويصحبونه في الصيد والحرب وكان السواد الأعظم من القبايعين بفلح الأرض وغيره من الأعمال من طبقة الأقنان أو رقيق الأرض وكانوا مرتبطين بالأرض ملزمين بالعمل في أرض السيد الخاصة نحو نصف الأسبوع الخ) مأخوذ بالنص من الفصل الرابع صفحة « ١٢٨ » من نفس الكتاب ، كما أن قوله أيضاً :

(وكان العرب يتمنون على الخيل في حربهم فلما قابلهم شارل مارتل في موقعة « تور » عام ٧٣٢ أعجب بما للخيل من الصفات الحربية فكون فرقاً من الفرسان على النسق العربي ومن ثم انتشر النظام في أوروبا كلها الخ) مأخوذ بالنص أيضاً من الفصل الرابع صفحة « ١٢٧ » من نفس الكتاب . فإذا كان مراد الأستاذ الاستشهاد بما نقله من الكتاب فلماذا جاء به في سياق كلامه دون أن يضعه بين قوسين علامة التضمين ؟ ولماذا لم يذكر المصدر ؟ هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ما دخل المرحوم على العزبي شاعر دمياط في تاريخ المصور الوسطى وأحواله الاجتماعية وهو رجل عاش ومات في القرن العشرين ؟ وما دخل عهد الانقطاع وأحواله في « دراسة تحليلية » الشاعر ؟ وما فائدة إلحاق المصور الذهنية للأمم في مجال ذكرى أديب ؟ كمال العربية نبئت

من محاولات الابتدئين في عصرنا هذا دليلاً كذلك على كيفية نشأة الشعر الأولى ، وأحسب الأستاذ يرفضه رفضاً جازماً .

٢ - سبق عبيدا شعراء كثر خلا شعرم من كل اضطراب في الوزن والقافية من أمثال دويد بن زيد القضاى والأفوه الأودى من أصحاب القطعات ، والمهلل بن ربيعة والحرب بن عباد من أصحاب الطولات

٣ - لم يكن عبيد شاعر الطبيعة ، فشارحو الطلقات يرون عنه « أن أحد بنى ثعلبة هجاء مقدعاً قابهل عبيد إلى الله بقوله : اللهم إن كان هذا ظلمنى ورمانى بالبهتان فأدلى منى » ، ثم قام ولم يكن قبل ذلك يقول شعراً فأناه آت في المنام بكبة من شعر حتى ألقاها في فيه فقام ترتجزها جيا بنى ثعلبة « الشك في القصة لا يرقى إلى أنه لم يكن شاعراً سليقياً ، وهذا الجاحظ يستنزل آثاره فيقول : « إن عبيدا وطرفة دون ما يقال عنهما إن كان شعرهما ما في يد الناس فقط »

٤ - اتخذ عبيد وعلمة دليلاً على تطور الشعر يقرب نشأة الشعر عند العرب ويظهرهم أمة جامدة المواطف متحجرة الشاعر آماداً طويلة وهو ما لم يزعمه غير العربى ، فضلاً عن العربى النافع عنها ٥ - لأن تتخذ عدم قيام دليل أدبى لتطور الشعر حجة على أقدميته وبعد نشأته أشرف اللغة العربية وديوانها من نفس أدلة لا تقوم على دعائم قوية ؛ لأنه ليس هناك من يشك في أن الشعر ككل أثر أدبى أو علمى مرت عليه أحقاب وآماد حبا فيها وخطا ينهض حيناً ويكبوا حيناً حتى نما واستحصد وصار فناً له قواعد وقوانين ، وإن خدام القى ورد في قول امرئ القيس :

عوجاً على الظلل المحيل لطنائى نبيك الليار كما بكى ابن خدام شخصية مجهولة للقداى لا ينالها في البعد

٦ - لا ينفض من قيمة الأدب الجاهلى أنه لم يقيد ؛ لأن الأمة كانت تحيا حياة فطرية فهي تعتمد في أدبها على حوافظها ومصدرها لا على كتبها ومدوناتها ، والشاكون في الشعر الجاهلى لا يشكون فيه جملة وإنما يساورهم الشك في بعضه ، ولعل قصيدة عبيد هذه من دعائم شكهم ؛ لأنهم يرون ما فيها من اختلال واختلاط عبثاً من الرواة ، وسخرية بالقداى

تلك نظرة عابرة أرجو أن يغيرها الأستاذ لفته فاحصة ؛ ليتبين ما فيها من سداد أرجوه . وله من الأدب وأبنائه التقدير والإعجاب
عبد العظيم على قناريه

والجمهور التائه كسرب من الحمام ، الصاخب كقطيع من الأغنام ، يزيد في منخبه ، ويعمن في دورانه ، والأسواق متنوعة : أسواق للسك وأسواق للفاكهة وأسواق للخضر تنوج في نجيحتها وشدهتها ، وتضطرب في قلبها وحركتها ، كل ذلك بين أصوات للباعة ترتفع جشأ جشأ جوفاء لا انجمام فيها ولا أتران ...

مسكين « نجيامباتيسنا » ! هل كان في حيرته يدور في خلده ، إذ ذاك ، أن عبقريته ستواجه يوماً ما في هذه المدينة الدوارة المضطربة بوسائل الفرح ، الثقيلة في مظاهر الانطلاق الروحي والحسي !!

لقد ولد في أسرة هي أغنى في عقليتها وتعليمها منها في ماليها وتقاليدها ، وأعظم في ميولها وأحاسيسها منها في أصلها وأعرافها . ورأت فيه عائته عن حق ميلاً إلى النبوغ الموسيقي ، يتألق أنفاساً روحية تشعها روحه الباسمة وحركاته الراتبة ولفحاته الأنيقة . فأرسلته إلى « نايلي » ليأخذ هناك من نعمها العذبة ، ويتيسر فيما بعد منها . ودخل بالتوصية والالتفات والرعاية (المهمد الموسيقي العظيم) حيث تعلم الغزف على العيثارة تحت إرشاد الفنان القديم « ديمائيس » ، فكان له من طبعه الفني القادر ، وزوج أستاذه الساحر ، أكبر باعث ألهب فيه حيوية الفن وأقباسه . فصقل روحه بكل جديد من الصور ، وخلع على قلبه كل فتن من الأحاسيس ، وإن ما كان يتوقمه هذا الفنان « ديمائيس » لتلميذه المتألق التوثب من مجد دفعه إلى أن أثر على الشاعر العظيم « جريكو » التي أهمم بهذه العبقرية التألفة المتعلقة التي لم تزل بعد في أكامها . ووجد « برجوليزي » ككل فنان حديث يشعر في قرارة نفسه بحماية تريد أن تفيض ، وأقباس تتطلع للظهور ، وألوان تتوالت لتتضم الحياة ؛ وجد فناناً « برجوليزي » من القيود الموسيقية الرثة أغلالاً تجعل أجنحة فنه تحلق في سماء محدودة وأجواء مقيدة ، وآفاق لا تشبع الرغبة الجامحة والزعة الطافرة . وضاق صبره بتلك القيود ولكنه أكره نفسه عليها ! حتى غادر مع أستاذه المهمد العظيم في عام ١٧٢٦ ليجنى حراً طليقاً ما يريد



النغم الضائع !

بقلم F. MATANIA

[قصة من أدب الحياة الواقعي ، طُنت فيها التقاليد على قلب فنان عبقرى]

للأديب حسين محمود البشيشي

في يوم من أيام عام ١٧١٧م أضاءته شمس الجنوب اللامعة الباسمة ، ترنحت عربة رثة متربة خلال مدخل كايونيا أحد مداخل نابلي ، وقد جلس في داخلها غلام في عامه الثامن ، تحمل الرحلة المرهقة القاسية وحيداً من قرية جيزي إلى نابلي . وما كان معه من سند غير بعض كتب التوصية لتفر من البيوتات النابولية الرفيعة .

كان هذا الغلام هو « جيامباتيسنا برجوليزي » ولما نزل من العربة تعباً غريباً مأثماً في حياة الماصمة الدوارة الصاخبة ، وضعه جنود الحراسة في عربة عامة ، وأرسلوا به إلى أحد المناوين التي على كتفه .

تصور طفلاً صغيراً ضعيفاً كصاحبنا خرج لأول مرة من مجتمعه الصغير الحقير في قرية جيزي بالقرب من أنكونا حيث توافقت الأزقة للمهجورة وملالة الوجود ، وتمازجت حقارة الفكرة وشفافية الحياة ، إلى نابلي هذه المدينة الرحبة الصاخبة الماجنة العابثة النارقة في التور وشهوته ، الضارية في كل فن وكل غريب ...

تصوره وقد تطلق الأطفال حول العربة كل يريد الركوب ، والحوانيت تبين وتنب ، والطعام تقدم صحاف المتكروية المهودة ليلاً ونهاراً في خيمة ومرح ، وهناءة وفرح ،

من أزاهير ، ففتحت أمامه مبكرة ، وتحققت أمانيه ؛ فلحن على حدائته قطعاً من الأوبرا ونشيداً رائعاً فانتاً ساحراً هو (سان جيغليمو) مما كان له مكانة سامية وشهرة عظيمة حتى في هذا الوسط الفني

ورحبت به المائلات الرفيعة التي كان عطفها ورعايتها قبله فنانى القرن الثامن عشر

ولا عجب أن رحبت به وافتتحت إليه ، وهامت بألحانه الساحرة ، وما تريد سوى أن يلتف حولها الفنانون . أما هو فقد جمعت أبوابه الجديدة الأنيقة من ملاعقه الدقيقة الوسيمة ، وقد عكس وجهه الوضى ' الفننى روحه الشاعرة الفنية العاصرة بالحساسية !

ووجد ثمرة الإلهام أمامه ناضجة

فقد كان ملك نابلى التحمس لتشجيع فنانى عصره ملائقاً للعلماء والمهندسين والرسمين والموسيقين ، وأصبحت نابلى إذ ذاك في أوج مجدها الفننى ، إذ كانت مركزاً منفرداً للندن ، انبثق منها إلهام حى سام متألق للجامياتيسنا

لقد كانت المدينة غنية بفنانينها حقاً . لقد اظفأت شملة حياة (كوريللى)^(١) و (ولفى)^(٢) ولكن الجيرة التي تركاها تأججت من جديد عند ما نفخ فيها سحر (سكارلاتى)^(٣) ولما قضى هذا الفنان أيضاً لم يكن إلا لفنان قادر سائى العبقرية ، متوقد الروح ، بعيد مدى الآمال ، أن يحفظ عظمها وينهض بها

فكان برجوليزى فناناً ولم يزل يبدى في المشرق وارثاً ملهماً فناً لهذا الإرث السامى من الفن العظيم . ما أسعده وما أتم نمته الفن عليه ! لقد بلغ المجد الذى تطلع إليه . لقد سطع عليه القبس الروحى الذى طالبا عنه . لقد أصبح الفنان القادر الساحر

ثم خفق فؤاده يوماً ما شديداً عنيفاً عند ما دعى إلى بيت « سينيللى » النبيل الكبير

ثم خفق فؤاده مرة أخرى ، ولكنه كان في هذه المرة أشد خفقاناً ، حيناً انتهت مراسم التقديم ، ووجد نفسه منعجاً أمام غيداء فانتة . لقد تنازلت ابنة أكبر البيوتات النابولية ارستقراطية عن كبرياء عائلتها ، رائعة دقيقة ساحرة ، تلك هي ماريا سينيللى التي نظرت إلى الشاب الفنان بورجوليزى ، وألهمت شرارة حبها نار الوجد في حناياه وسواء أكان ذلك لفتنة فيه أم لسحر في موسيقاه فقد باحت بسر الجوى أعين لطفان فجاوبتها عيون ! وصفق قلب فأسرع إليه قلب . . . وهكذا فاض روح الحب من النفس الجميلة والنفس الفنتاة ولكن وأسفاه ! لم يكن للقصيدة الأبدية من تمام . لقد كانا في ميعة الشباب وفتنته ، يتدفق فيهما الشعور بروح الجلال ، وتفيض أعينهما إحساساً به ، كما كان هناك على آخر ما يصل إليه البصر من لفظة القصر حيث يتصاعد عبير البرمال قبور ، ترفع نسبها في جنون تحت شمس الظهر الرهقة الحارة . أجل لقد كانا في ميعة الشباب ، ولكن كان هنالك قبور بالقرب من عش غرامهما !

فلا عجب أن دار قدرهما قوياً قاهراً فمصف بهما عصفاً تناثرت هنا وهناك الأحاديث ! وعمرى أرستقراطيو القوم وجوم ودهش . يا عجبا ! ابن الشعب ذلك الحقير ، يتطلع إلى أن يختلط دمه الأحمر الشديد الحمرة بدم أسرة سينيللى الأزرق الشديد الزرقة ! لتكن عبقرته ما هى ، ليكون قدره ما يكون ، ليكون مستقبله ما سيكون ، ليكون كل شئ . لقد كانوا حتى ! وما كانوا غير ذاك . فإن من اتحاد الأحمر والأزرق يتكون ذلك اللون البنفسجى الرائع الذى يلوها . تلك هي السماء

ولقد كانت الفكرة ، بل التفكير فيها أمراً حراماً . . . ابن الشعب يتطلع إلى بنت البيوتات الرفيعة !

نار أهلها كل الثورة ، وحقنوا على الفنان كل الحقد ، وبرموا به كل التبرم . وأما أشياعهم من ذوى الضاليد والأشراف

(١) و (٢) من أعلام الموسيقى في هذا العصر

(٣) وارث الفن بعدها وسرعان ما أفل نجمه

لقد كان لهم أن يضحكوا ؛ فلم يك قولهم إلا حقاً ، فما نابلي إذ ذاك إلا مدينة الأشراف ؛ ولقد كانوا هم سادة الأشراف !!
ومرت أيام ومضت ليال وجاء إخوتها برجل من أسرة كرافا
أثقلته عليه ، وجللته عظمته ، فأخذت رأسه الفارغ ، وكست
روحه المارية

لقد كان غنياً أرستقراطياً لا شبهة في ذلك ، جاء به إخوتها
لترضى به زوجاً ؛ ولكن لم تكن ماريا لتفتن الثروة أو تأخذها
الآبهة ، وما كانت لتريد رجلاً أياً كان ... لقد كانت تريد شيئاً
غير هذا ! شيئاً أجمل من هذا . نقرج الكرافى بوجهه المضمحل ،
وجواهره اللامعة ، وقلبه الرائبة ، وأبغى له إخوتها مودعين
وقد وضع يده في جيبه يتحسس خاتمه الذى لم يقدر له بمس أن
يوضع في مكانه

وأضحت ماريا برفضها الكرافى أمراً بالقضاء على برجوليزى .
ولم تكن هناك إلا طريقة واحدة لتقضه . لم يك هناك إلا أن
تهب نفسها لله !

فوافق إخوتها . ولأمر ما قرروا أن يرأس برجوليزى المازفين
في حفل ترهيبها ! يا عجبا ! برجوليزى يقدم قلبه لله !

وفي الحادى عشر من مارس عام ١٧٣٤ في كنيسة سانتاشيرا
رأس برجوليزى المازفين وبدأ الحفل فلوح بعصاه يفتح قبر قلبه
فكان لقرانه على حامل الموسيقى صدى ، كأنما هو يؤذن برفع
الستار عن إحدى المآسى

ورفع الستار عن مأساة مريوعة : عنراء تهرب مقدمة
شبابها ، جمالها ، حياتها ، قلبها ، إلى نسيج حسن لا يرقه
ولا يطفه إلا الإيمان بالله

مأساة أعمق من أن تصل إليها الألفاظ والجل . لقد كان الرهبان
يصيحون : «مزمجاً بروس البيعة» ، ورنّت أصواتهم في كل أذن
سمتهم . أما أذن المروس ، وأما أذن رئيس المازفين فقد سمعتا
ماريا كل نفمة تصيح : وداعاً . وداعاً رى بها الأفق ،
وداعاً ابتهل بها الرهبان . وداعاً نطق بها دخان البخور وقد صعد
يتلوى في زرقته إلى الله . إنه لم يترنم في صموده رسالة حبيب
إلى السماء ، بل لقد كان يصيح وداعاً ويتلوى لرسالة من الألم !
وتخافتت الأصوات ، وسكنت الأقدام ووقف برجوليز وحيداً

ولم فتيات قد يتطلع إلى إحداهن يوماً ما فنان من أبناء الشعب
قد شاركهم الأمر ، وتذكروا لفناننا برجوليزى

وهكذا تعبت الشهوات الزائلة بجلال الفن ، وتعبت الأغراض
الدنيئة بجلال الحب ، وتفسد التقاليد المتينة انسجام روحين ؛
فما أحقر الإنسان إذا انطلقت فيه نوازع النفس الترية وغطت
على بصره ، فظن أن الحياة مظاهر وقاليد ؛ وما كانت لتكون
كذلك والزهر يماحه الشوك وقاسمه أعصاب دوحته !
أوصدت الأبواب السرجية ، وحبت الوجوه الباسمة ، وولت
الأقدام المقبلة ، وأغلقت ... وأغلقت تلك الخيلة التى طالما عزف
فيها لماريا ، وألمهته فيها ماريا

وحُجبت عن نظراته الوالهة ابنة أسرة سينبلى
ولم يك يصل إليها إلا على جناحى أشودة خالدة ، وفي ثنايا
نسمة عابرة ، وبين ألحان أمنية مستمرة . وهلت به الحياة وتقل بها
فانتمس في ألحانه الباكية ، وترانيمه الحزينة ، عساها أن تكون له
عن دنياه سلوى ، كما هي عن جواه

وتدقت أمامه الشهرة الفارغة الجوفاء . وسجدت نابولى
لمبقرته حين قدّم لها في عام ١٧٣٠ قطمته الخالدة بعد نجاحها
بأعجوبة من زوال مروع . ولقد كانت قطمته هذه فريدة حقاً
في نتماتها ، وجيدة حقاً في ألحانها ، فذة حقاً في معانيها ، منقطعة
حقاً في روعتها . ولقد أدّرت عليه كل ما ابتناه في فجر أيامه ،
وتعناه في متفئس عمره . أدّرت عليه كل شئ ليضمه تحت قدمى
ماريا ، ماريا الفاتنة ، ماريا ملهمته الفن الساحر القادر . ولكننا
نلماها كانتا مغلولتين بقل من حديد التقاليد

لقد كان عمرها عليها هناك في سجنها الذهبي حتى التلوى باسم
برجوليزى . قامت بسمتها المرحّة على شفيتها ، وانطلقت شملة
في عينها كانت متألقة بألمة . وجاءها إخوتها الثلاثة يوماً ، وقد
أخذ الغضب منهم كل مأخذ ، وطار شرر التقاليد من أعينهم ،
وأجهر بوق الأرستقراطية أصواتهم ، فتدافعوا إلى خدرها ،
وهذبوها وسيوفهم مشروعة بأنهم إن لم تتخذ لها بملأ كفنا لها
استقر السيف في قلب هذا الموسيقى الحثير ! فدافتمهم بدورها
ولوح لهم بالقانون مستمراً لحبيبها . فضحكوا ؛ فهم حاة الشرف
السينبلى ؛ ولم تك ليه أن تحتد إليهم إذ ذاك لا أن تمسهم .

الأصدقاء ، وسكنت الأقدام ، ولكن أقدام ماريا لم تحقق معها هذه المرة ، ولم تندمج في الصف الذي اندمجت فيه من قبل في حفل ترهبها . وها هي ذى فوق أكتاف الراهبات يحملن منها صدقتها الرمزية الهشة . وها هي ذى وخزات الآس الدامية ينقلها « برجوليزى » إلى لغة اللحن في أنات طويلة علوية

ولما أوصد الباب للمرة الأخيرة ، وانتهت الراسيم الحزينة ، تقدم برجوليزى وهبط عن منصته ثم جمع أوراقه التي سطر فيها أساء واحدة فواحدة ، وعددها ببطء ودقة . ولما تأكد من أنه لم يترك منها شيئاً . تقدم إلى الذبح . ويحه ماذا يريد ؟ وعلى أحد الشموع الكبيرة التي قدمت حياتها قرباناً لتقضى ساحة بيت الله ، ألهبت ناراً في عصارة قلبه ، في هديته الأخيرة لماريا ملهمته ، ولما اسودت الأوراق ، وتلوت ثم ترامت في ألم على الأرض ، صاح في أمسى وحرقة :

لقد لحنتها لماريا ! لماريا وحدها . إنها لحنى الأخير لموكبها . إنها سلاهي الأخير لها ، ووداعى الأخير لروحها . ولن تكون إلا لها . دائماً أبداً لن تكون

ولم يعلم أحد هل كانت هذه البقايا المحترقة هي معجزة برجوليزى التي جمعها الراعى في الصباح لم يعلم أحد هل كانت هذه البقايا المرتشة في هب الريح هي « النغم الضائع » أو الور المتزوع من قيثارة « جيامباتسنا » ولم تنتظر ماريا طويلاً . فلم تمض سنة حتى كان جيامباتسنا برجوليزى في قرية بوزيولى ، قريباً من نابلى ، وقد امتنع عن العزف ، وامتنع عن الشكوى والنواح وارقع إلى السماء ليعزف لها هناك على قيثارة الروح الأناشيد التي وضعها لها على الأرض

صبي محمود البنيشى

مرنوع الرأس مديراً بعصاه أقدام العازفين وحركاتهم لقد كان جديراً حقاً ذلك الحفل بأن يضع على رأسه أكاليل الغار ، ولكنه كان مأخوذاً مرعوباً لم يدر شيئاً ، ووقف يحترق في لهبه ، لقد كان فريسة لأساء ، هشيماً لنار جواه . وبكاها برجوليزى إلى العالم ولم تزل حية ، لم ييك « الأخت فكتوريا » كما نادوها في الدير ، بل بكى الحبيبة ماريا . لقد بكها وهي في كهفها الضيق ولا من يسمع أناتها . إنك لتقرأ مأساتها كما قرأها من قبلك ، وكما سيطالها إلى الأبد الكثيرون في دمتته المحرقة في دمتته الصارخة « Stabat Mater » ولا عجب أن كانت معجزة فلم ييك أبداً فؤاد إنسان ذاك الذى لحنها ، ولكنه فؤاد من ذهب روحى خالص تقى صهرته الآلام الملتببة

لم يتمكن الزمن أن يحدث معجزة النسيان ، ولكن لم ييك غير الموت شافياً « لماريا » . فلم تمض سنة حتى تركت الأخت « فكتوريا » وراءها على الأرض صدفة مرمرية ورسالة إلى من وهبت قلبها . وحمل الرسالة إختوها إلى « برجوليزى » في روما ؛ فقد رحل من قبل عن « نابلى » متوياً أحلامه . أما الرسالة فكانت : « دعوا برجوليزى يدير الحفل الأخير لروحى حتى يتاح لها أن تصعد إلى عالم الخلد على أجنحة الوجد »

فترك برجوليزى ما لم ينم من تأليفه ؛ وقد كاد أن يتم أوبراه الخالدة (الأولمبياد) ورحل سريعاً إلى « نابلى » ليجد هناك طمعة جديدة تنتظره ؛ فقد كانت القطعة التي سيدبر عزفها ليست له ولكنها من تلحين « ليد » الموسيقى القديم . وبهمهم ! لم يريدوا حتى أن يكون له شرف تأليف لحن جنازتها . لم يريدوا إلا حرمانه حتى ذلك التأسى القانى ، ولكنه فنان عاشق ، ولكنه محب والده ، ولكنه .. لحن في سرعة جنونية يائسة قطعة كل تنم فيها فلتة من حنايا قلبه المفضى ، من ثنايا أساء البليغ

لم ير شيئاً سوى وجوه كالحة ساخرة مجرمة . وتخاذلت